

وقد يوظف الكاتب الجمل الاسمية للإيجاء بالتغريب المكاني، وانعكاسه على الشخصية الروائية، إذ يهيمن الصمت، ويستحيل المكان إلى مجرد فراغ يحاصر ساكنيه، كما في حديث البطل واصفاً نظرات صفاء له: " تأملتني طويلاً، تصنعتُ بأني شارد الذهن، أتعبها البحث عن جملة بديلة فلم تجد، شمس البحر الميت مغبرة دائماً، الجبال العارية تغرق في ضباب رمادي، الفالق ينفث الدخان والذباب، وذاكرة ملحية عن أحداث وغزاة، ونهر تجف قداسته بعد أن تقرصنوا على مياهه الشمالية، كنا نتكئ على مقدمة السيارة في مواجهة البحر الذي ينكمش كاشفاً الملح والحصى المشذب"⁽⁵⁰⁾.

لعلّ هيمنة الأسماء والصفات على الأفعال في النص أسهم في تحقيق وظيفة اللغة الشعرية بما تبعته من صور تفيض بمعاني الموت، والزوال، وتجعل الشخص الروائية أكثر تفاعلاً مع فضاء الرواية، وفاعلية في معمارها الفني.

الخاتمة:

شكلت شعرية اللغة في رواية " تراب الغريب " عصباً مهماً في بنية النص، تمثل ذلك بكثافة هذه اللغة، وطاقاتها الإيحائية، فضلاً عن انحرافاتها اللغوية التي أغنت النص بدلالات خصبة، تدعم فكرة الموت المسيطرة على الرواية. إن التكرار، والتساؤل، واستخدام الجمل الاسمية أساليب ذات منبع شعري واضح في الرواية، تدعم شعريتها، وتعمق من تأثيرها في المتلقي. إذ أسهمت شعرية اللغة الروائية في توجيه الرواية إلى وظائف مخصوصة تثري النص، وتعمق أدبيته، ولعلّ من أبرز هذه الوظائف المروحة بين الرؤية العقلية التي يعكسها القص، والتدفق العاطفي الذي تحمله اللغة الشعرية من خلال الرسالة التي يريد السارد إيصالها إلى المتلقي، الأمر الذي أسهم في تفجير طاقات اللغة، وإكسابها درجة أعلى من الكثافة التعبيرية التي كشفت عن محددات الخطاب الروائي، وأغنت اتجاهاته الفكرية.

الهوامش:

1. فاليط ، برنار، 1999م، النص الروائي (مناهج وتقنيات)، ص 29.
2. كوهن، جان، 1986م، بنية اللغة الشعرية، ص 9.
3. ياكوبسن، رومان، 1988م، قضايا الشعرية، ص 35.
4. تودروف، تزفيتان، 1987م، الشعرية، ص 23.
5. يُنظر، تودروف، تزفيتان، 1986م، نقد النقد ، ص 24.
6. باختين، ميخائيل، 1987م، الخطاب الروائي، ص 38.
7. المسدي، عبدالسلام، 1983م، النقد والحداثة (مع دليل بيليوغرافي) ، ص 38.
8. حسين، خالد، 2007م، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، ص 302.
9. الماضي، شكري، 2008م، أنماط الرواية العربية الجديدة، ص 153.
10. جنيت، جزار، د. ت، مدخل لجامع النص، ص 40.
11. الطراونة، إيمارة، 2012م، هزاع البراري روآئي، ص 27. 28.
12. عبيدالله، محمد، 2008م، مجلة أفكار (تصدر عن وزارة الثقافة الأردنية)، العدد 231، تراب الغريب (عودة الرواية إلى مشكلة الحب والموت)، ص 19.
13. حسين، خالد، 2007م، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، ص 313.
14. حليفي، شعيب، 2004م، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، ص 13.
15. البطوش، حمدان، 2001م، ملامح شعرية الرواية (جبرا إبراهيم جبرا إنغودجا)، دراسة فنية تحليلية، ص 37.
16. سمحان، محمد، 2011م، مجلة أفكار (تصدر عن وزارة الثقافة الأردنية)، العدد 272، قراءة في رواية " تراب الغريب"، ص 118.
17. حسين، خالد، 2007م، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، ص 303.
18. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب ، ص 14.
19. حسين، خالد، 1421هـ، شعرة المكان في الرواية الجديدة (الخطاب الروائي لإدوار الخراط غودجا)، ص 399.
20. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 22.
21. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 16.
22. الغدّامي، عبدالله 1985م، الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريعية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر)، ص 24.
23. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 19.
24. يُنظر، الماضي، شكري، 2008م، أنماط الرواية العربية الجديدة، ص 59.
25. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 23.
26. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 63. 64.
27. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 64.
28. العلاق، علي جعفر، 1997م، الشعر والتلقي (دراسات نقدية) ، ص 179.
29. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 28.
30. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 92.
31. رحيم، فلاح، 1997م، مجلة علامات في النقد، المجلد السابع، الجزء الخامس والعشرون، سبتمبر، شعرة الأنظمة الأدبية، ص 115.
32. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 18. 19.
33. يُنظر: قريه، آلان روب، 1985م، مجموعة لقطات القصصية، ترجمة عبدالحميد إبراهيم (مع دراسة مطولة عن الرواية الجديدة)، ص 17. 18.
34. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 51. 52.
35. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 77.
36. نحر، هادي، 2013م، المضامين الإنسانية والتشكيلات اللغوية في شعر نادر هدى، ص 291.
37. عونية، رحمة خليل، 2001م، شعرة السرد الروائي في نماذج من الرواية الجزائرية الحديثة، رسالة ماجستير (مخطوط)، ص 266.
38. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 183.
39. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 13.
40. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 66.
41. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 80.

42. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 111.
43. يعقوب، ناصر، 2004م، اللغة الشعرية وتحليلاتها في الرواية العربية (1970 . 2000م)، ص 218.
44. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 201.
45. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 13.
46. نحر، هادي، 2013م، المضامين الإنسانية والتشكيلات اللغوية في شعر نادر هدى، ص 280.
47. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 143.
48. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص ص 72 . 73.
49. يقطين، سعيد، 1997م، تحليل الخطاب الروائي، ص 215.
50. البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ص 69.

المصادر والمراجع :

- باختين، ميخائيل، 1987م، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة.
- البراري، هزاع، 2009م، تراب الغريب، ط2، دار ورد للنشر، والتوزيع، عمان.
- البطوش، حمدان، 2001م، ملامح شعرية الرواية (جبرا إبراهيم جبرا نموذجا)، دراسة فنية تحليلية، رسالة ماجستير (مخطوطة)، إشراف الدكتور محمد الشوابكة، جامعة مؤتة، الأردن.
- تودروف، ترفيتان، 1986م، نقد النقد، ط2، ترجمة سامي سويدان، بغداد.
- جنيت، جبار، د. ت، مدخل لجامع النص، ترجمة عبدالرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- حسين، خالد، 1421هـ، شعرية المكان في الرواية الجديدة (الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجا)، ط1، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض.
- حسين، خالد، 2007م، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، ط1، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق.
- حليفي، شعيب، 2004م، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- رحيم، فلاح، 1997م، مجلة علامات في النقد، المجلد السابع، الجزء الخامس والعشرون، سبتمبر، شعرية الأنظمة الأدبية.
- سمحان، محمد، 2011م، مجلة أفكار (تصدر عن وزارة الثقافة الأردنية)، العدد 272، قراءة في رواية " تراب الغريب".
- الطراونة، إيمارة، 2012م، هزاع البراري روائيا، ط1، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان.
- عبيدالله، محمد، 2008م، مجلة أفكار (تصدر عن وزارة الثقافة الأردنية)، العدد 231، تراب الغريب (عودة الرواية إلى مشكلة الحب والموت).
- العلاق، علي جعفر، 1997م، الشعر والتلقي (دراسات نقدية)، ط1، دار الشروق، عمان.
- عونية، رحمة خليل، 2001م، شعرية السرد الروائي في نماذج من الرواية الجزائرية الحديثة، رسالة ماجستير (مخطوطة)، إشراف الدكتور إبراهيم خليل، الجامعة الأردنية.
- الغذامي، عبدالله، 1985م، الخطبة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر)، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جدة.
- فاليط، بنزار، 1999م، النص الروائي (مناهج وتقنيات)، ترجمة رشيد بنجدو، الدار البيضاء.
- قريبه، آلان روب، 1985م، مجموعة لقطات القصصية، ترجمة عبد الحميد إبراهيم (مع دراسة مطولة عن الرواية الجديدة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- كوهن، جان، 1986م، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء.
- الماضي، شكري، 2008م، أنماط الرواية العربية الجديدة، سلسلة عالم المعرفة (355)، الكويت.
- المسدي، عبدالسلام، 1983م، النقد والحداثة (مع دليل بيبليوغرافي)، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- نحر، هادي، 2013م، المضامين الإنسانية والتشكيلات اللغوية في شعر نادر هدى، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد .
- ياكوبسن، رومان، 1988م، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي، ومبارك حنون، ط1، دار توبقال.
- يعقوب، ناصر، 2004م، اللغة الشعرية وتحليلاتها في الرواية العربية (1970 . 2000م)، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان.
- يقطين، سعيد، 1997م، تحليل الخطاب الروائي، ط3، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء.

الميزان النقدي في كتاب "فحولة الشعراء" للأصمعي

Critical Balance in Al-asma'i's Book "Poets' Gloriousness"

الأستاذ: د. فيصل حسين غوادرة

جامعة القدس المفتوحة - جنين - فلسطين

ملخص البحث:

لقد هدف هذا البحث إلى التعرف إلى كتاب "فحولة الشعراء" للأصمعي، حيث ورد في طياته موروث نقدي قيم، حمّله الأصمعي آراءه النقدية، وهي آراء على بساطتها وبدايتها، فقد كانت مقاييس انطلق منها النقاد؛ ليطوروها ويحسنوها، حتى وصلت إلى مراحلها المتقدمة. وقد كشف لنا هذا البحث الطريقة التي تعامل معها الأصمعي مع شعراء الجاهلية والإسلام، وبين لنا الأحكام النقدية التي بثها لهم في كتابه، فقد أظهر لنا أن الأصمعي لم يقتصر على مقياس الفحولة لوحده، بل تعداه إلى مقاييس نقدية أخرى، وأن كل هذه الأحكام ظلت في إطار المقاييس النقدية الذوقية الشخصية غير المعللة، وأن عدد الشعراء الذين تطرق إليهم وصل إلى مئة شاعر وشاعرة، توزعوا على عدد من المقاييس النقدية التي أثبتتها الأصمعي في ميزانه النقدي، في كتابه "فحولة الشعراء".

Abstract:

This research aims at identifying Al-asma'i's "Poets' Gloriousness" book, as it includes a valuable critical inheritance to which Al-asma'i added his critical views. Despite their simplicity and primitivity, critics regarded such views as standards which they developed and improved until reaching the advanced stage. The current research has revealed the method which Al-asma'i used to deal with both the pre-Islamic and Islamic poets and it showed the critical provisions he cast to them in his book. It also revealed that Al-asma'i did not only depend on the standard of virility, but he extended to other standards, and that all of these provisions remained in the personal unaccounted critical standards. Furthermore, he dealt with a hundred poets divided on a number of critical standards which Al-asma'i proved in the critical balance in his book "Poets' Gloriousness"

المبحث الأول

الدراسة النظرية

- المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وبعد:

الشعر ديوان العرب، وسجل موروته وتاريخهم، بل وحياتهم، وما وصل إلينا إلا أقله، والنقد حارسه وموجهه، يتابعه ويسهر عليه، ابتداء من الأصمعي[•]، ومروراً بابن سلام، وابن قتيبة، والجرجاني، والآمدي، والقيرواني، وغيرهم كثير.

ولعل الشرة الأولى للأصمعي في كتابه "فحولة الشعراء"، هي التي أشعلت التأليف النقدي من بعده، وحتى أيامنا هذه... ولذلك جاء بحثي هذا ليكشف عن مكنون هذه الشرة، وعن السر النقدي الذي وضعه فيه الأصمعي، حتى كانت هي البداية الأولى في تأليف الكم الكبير من التراث النقدي الذي ورثناه عن نقادنا العلماء الأجلاء-رحمهم الله-.

ولعل الإشكالية الجديدة التي تم التعرض لها خلال البحث تبدو في عدة أمور منها: عدم التطرق من قبل -فيما أعلم- لكتاب "فحولة الشعراء للأصمعي" فيما يختص بالروايات النقدية التي تحدثت عنها، وحاولت الإبانة عن مكوناتها، وربما يتضح ذلك بطرح أسئلة حول هذا البحث أظهرها: ما الطريقة التي اتبعها الأصمعي في تصنيفه للشعراء؟ وهل سبق لذلك أم لا؟، وما رأي النقاد فيما طرحه من آراء، أو بالصفات النقدية التي خلعتها على الشعراء في كتابه؟، وهل شمل بآرائه جميع الشعراء الذين سبقوه أو عاصروه؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي حاولت الإجابة عليها في بحثي هذا.

وقد كشف بحثي هذا عن الميزان النقدي الذي اتبعه الأصمعي؛ ليظهر من خلاله المقاييس النقدية المختلفة، والأحكام المتنوعة التي أصدرها بحق الشعراء الذين تطرق إليهم، مستخدماً في ذلك المنهجية التحليلية بثوبها التاريخي والنقدي والإحصائي، وإني لأزعم بأنني أول من تناول هذا الموروث النقدي في كتاب الأصمعي هذا بالتحليل والدراسة بهذه الطريقة والكيفية، وإن كان أغلب من تطرق إليه تناولوه من جانب صفة الفحولة فقط، دون اللجوء إلى الصفات النقدية الأخرى، والتي كونت جزءاً مهماً من هذا الكتاب.

وقد تكون هذا البحث من مبحثين، أولاهما: تحدثت فيه عن الجانب النظري، الذي اشتمل على ترجمة للأصمعي، والشعر عند العرب، ونظرة في النقد العربي حتى زمن الأصمعي، والميزان النقدي عند الأصمعي في كتابه "فحولة الشعراء"، وجاء المبحث الثاني ليشكل الدراسة التطبيقية في كتاب "فحولة الشعراء"، والتي من خلالها أظهرت توزيع الشعراء على المقاييس النقدية، ضمن إطار الميزان النقدي عند الأصمعي، ثم أتبعته بنتائج للبحث شكلت ختام البحث ونهايته.

- الشعر عند العرب:

للشعر مكانة عظيمة عند العرب؛ ولذا قال عمر بن الخطاب: "كان الشعر على قوم لم يكن لهم علم أصح منه"⁽¹⁾، وما وصل إلينا منه إلا القليل، قال أبو عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم

• هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أصم، ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، المعروف بالأصمعي الباهلي، ولد في البصرة سنة (123هـ). كان صاحب لغة ونحو، وإماماً في الأخبار والنوادر والملح والغرائب، سمع شعبة بن الحجاج والحماد بن عيسى وغيرهم، وروى عنه أبو عبيد القاسم، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي وغيرهم، وهو من أهل البصرة، وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد.

- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، (1994)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (د.ط)، دار صادر، بيروت، المجلد الثالث، ص: 170-171.

(1) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (د.ت)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ط3، دار التراث، القاهرة، ج3، ص: 404.

وشعر كثير⁽¹⁾، وكان الشعر ديوان العرب، وهنا يقول ابن سلام: "وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون"⁽²⁾، ويؤيد ابن خلدون ذلك فيقول: "أعلم أن الشعر كان ديوان للعرب، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم، وكان رؤساء العرب منافسين فيه، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده، وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز حوله"⁽³⁾، وقيل أيضاً: "الشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر"⁽⁴⁾. وهذا يظهر لنا المكانة التي كانت للشعر عند العرب، فهو ديوانهم، وعليه يجتمعون، وفيه يحفظون علومهم وأخبارهم، فهو السجل التاريخي لهم وللأحداث التي يمرون بها في حياتهم، وهو رمزهم وسرهم وعنوانهم ورسالتهم وإعلامهم، فالشاعر هو رسول القبيلة ورجل إعلامها الأول، ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء: "كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب؛ لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم، ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم من غزاهم، ويهيب من فرسانهم، ويخوف من كثرة عددهم، ويهاجم شاعر غيرهم، فيراقب شاعرهم، فلما كثر الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة، ورحلوا إلى السّوق، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر"⁽⁵⁾.

إن الشعر صناعة وثقافة، فهمها الجمحي عندما قال: "وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات"⁽⁶⁾، ولعل الخطيئة أدرك صعوبة الصعود على سلم الشعر، فقال: ⁽⁷⁾

الشعر صعب وطويل سلّمه والشعر لا يستطيعه من يظلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه زلت به إلى الحضيض قدمه

يريد أن يعربه فيعجمه

وحدّ الشعر اللفظ والوزن والمعنى والقافية، فهو "كل قول موزون مقفى يدل على معنى"⁽⁸⁾، وأركانه: المدح، والهجاء، والنسيب، والرثاء، وقواعده: الرغبة، والرغبة، والطرب، والغضب، وأغراضه: النسيب، والمدح، والفخر، والوصف⁽⁹⁾، والشعر هو "كلام مفصل قطعاً قطعاً، متساوية الوزن الواحد"⁽¹⁰⁾. وقد تحدث شوقي ضيف عن منزعين في الشعر: منزع المحافظين الذين يعنون

(1) نفسه .

(2) الجمحي، محمد بن سلام، (1997)، طبقات الشعراء، ط1، حققه: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص: 51.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (2006)، مقدمة ابن خلدون، (د.ط)، حققه وشرحه وضبطه: علي عبد الواحد وافي، دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج3، ص: 1176.

(4) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج3، ص: 470.

(5) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (د.ت)، البيان والتبيين، (د.ط)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ص: 241.

(6) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 43.

- القيرواني، الحسن بن رشيق، (2006)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط1، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 102.

(7) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج2، ص: 490.

(8) ابن جعفر، قدامة، (1978)، نقد الشعر، ط3، تحقيق: كمال مصطفى، ص: 17.

(9) القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص: 103.

(10) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ج3، ص: 1157-1158.

بالتراث القديم في الموضوع والأسلوب، ومنزع المحددين الذين يحاولون أن يجددوا في كل شيء، حتى يتفوقوا مع ذوق العصر، وحتى يهيئوا للشعر تطوراً في موضوعاته وأساليبه⁽¹⁾.

والمطبوع من الشعراء هو من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر البيت عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة، وإذا امتحن لم يتلثم ولم يتذجر (يتكهن)⁽²⁾، والشعراء بالطبع مختلفون، منهم من يسهل عليه المديح، ويتعذر عليه الهجاء، ومنهم من يسهل عليه المراثي، ويتعذر عليه الغزل⁽³⁾.

- نظرة في النقد العربي حتى زمن الأصمعي:

كثر الشعراء، وتعددت قبائلهم، وتنوعت مشاربهم، وتلونت أشعارهم، فلم يتركوا مجالاً إلى ونظموا فيه شعراً، قلّ أو كثر، أجادوا، أو قلّت الجودة فيه، وقد كان لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً، أولها الحفاظ من جنسه، أي من جنس شعر العرب، حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها، ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب، وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين، والمختار من شعر الجاهلية⁽⁴⁾. وقد كشفت لنا المصادر التراثية عن وجود كم هائل من النصوص النقدية العفوية، التي كانت ترافق ظهور القصائد والأشعار في العصر الجاهلي، وهي بالتالي كانت تعج بالآراء النقدية التي كانت تقوم العمل الشعري، حيث شكلت هذه الآراء كمّاً هائلاً من النقد العفوي الذي لازم الشعر في الأسواق والمجالس، وكونت مادة نقدية ضخمة مهدت لظهور المدارس النقدية فيما بعد⁽⁵⁾.

والنقد في أدبنا العربي قديم قدم هذا الأدب، بل قدم الفن والإبداع والشعر، ففي الجاهلية مثلاً نجد حكومة زوجة امرئ القيس عندما حكمت لعلقمة الفحل وفضلته على زوجها في جانب من شعريهما، وكذلك في قضاء النابغة بأفضلية الخنساء على حسان بن ثابت⁽⁶⁾. وفي العصر العباسي نجد أيضاً الموازنة للآمدي بين أبي تمام والبحري، ووساطة القاضي الجرجاني بين المتنبي وخصومه⁽⁷⁾، وقد يكون الناقد شاعراً كالنابغة، ومن نقده قوله للبيد بن ربيعة بعد أن سمع شعره: اذهب فأنت أشعر العرب، وقد يكون الناقد قبيلة، إذ كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه كان مقبولاً، وما ردوه منها كان مردوداً⁽⁸⁾، ولهذا فإننا نجد أنه كان "لبعض القبائل نوع من السيادة الفنية، أهلها لأن تكون مسموعة الكلمة في شؤون الشعر، كما عرف ذلك عن قريش بخاصة، ويلحظ المرء هنا ترابطاً بين السيادة الدينية والسيادة الفنية، والصحيح أن الحساسية الدينية غير بعيدة عن الحساسية الفنية"⁽⁹⁾.

(1) ضيف، شوقي، (د.ت)، في النقد الأدبي، ط2، دار المعارف، ص: 11.

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (1984)، الشعر والشعراء، ط3، عالم الكتب، بيروت، ص: 12.

(3) نفسه، ص: 14.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ج3، ص: 1163.

(5) الحسين، قصي، 2008، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص: 6-7.

(6) الأصفهاني، علي بن الحسين، (1997)، كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، ج11، ص: 7.

(7) انظر: عباس، إحسان، (1993)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط2، دار الشروق، عمان، ص: 304-340.

- الرباعي، عبد القادر، (2007)، تحولات النقد الثقافي، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص: 122.

(8) العاكوب، عيسى علي، 1997، التفكير النقدي عند العرب، ط1، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص: 28-29.

(9) نفسه، ص: 43.

ويعرض طه حسين لمدرسة شعرية غلب على معظم أعضائها صناعة الشعر، وتثقيفه وحولته، وكان أوس بن حجر أستاذاً الأول، ثم زهير بن أبي سلمى، وكعب بن زهير والخطبة، وقد جعل طه حسين هذه المدرسة الشعرية بأنها تتصف بمزايا متشابهة، وجعل لها مقياساً يجمع بين اللفظ والمعنى والخصائص الفنية المشتركة⁽¹⁾.

إن تأثير النقاد وعلماء الشعر في العصر الجاهلي على شعراء الطبع، أو الشعراء المطبوعين كان قليلاً؛ لأن أهل هذه المدرسة يؤمنون بالعفوية والطبيعة في قول الشعر، أما تأثير النقاد الجاهليين على أصحاب مدرسة الصنعة والتكلف فقد كان قوياً، فأنشئت المدرسة الأوسية، الذين صنعوا قصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات، حتى يصير قائلها فحلاً خنذيدياً، أو شاعراً مقلداً، وكانت الجودة التي فرضها النقاد على أصحاب هذه المدرسة تقوم على التصفية والتزويق، والتأمل في ألطاف القصيدة، حتى أن شاعر الصنعة وقع تحت وطأة النقد، يصفى الأبيات من شوائبها، ويخلص القوافي من أوزانها تخلصاً تاماً⁽²⁾؛ ولذا فإن فكرة تنقيح الشعر تمثل "تصوراً خاصاً للعملية الإبداعية عند نفر من الشعراء، فالشعر عند بعض الشعراء ليس تدفقاً تلقائياً يستسلم فيه الشاعر لقريحته، بل هو ضرب من المعاناة والمكابدة والطلب الملح، ولا يكتفي الشاعر بما أتاه لأول وهلة، بل يتأمل به بعين البصيرة..."⁽³⁾. وقد كان هدف الشاعر زهير وغيره من تنقيح الشعر هو "تخليص الشعر العربي مما كان لا يزال عالقاً به به من آثار عدم النضج، مثل التعبيرات غير المصقولة، والأسلوب غير المنقح، وعيوب الوزن والقافية"⁽⁴⁾. وهنا أقول إن الناقد والشاعر في الجاهلية كانا شخصاً واحداً، وهذا ما كان يعوز عن وجود النقد الكثير من خلال وجود الشعر الجيد الكثير، فالنقد "كان عبارة عن عملية فنية ذات معايير تطبيقية، عمل الشاعر على تطبيقها في شعره، دون أن ينشغل بتسجيلها في مدونات نقدية"⁽⁵⁾، وكان النقد في هذه الفترة يصدر بناء على ملحوظات على أبيات من الشعر، أو على بعض القصائد، أو على تصنيف تصنيف الشعراء، وفقاً للقيمة الجمالية لقصائدهم، وكان بالإمكان أن يكون هذا الحكم جديراً بالتقدير، "لو أنه اعتمد على دراسة النتائج الشعري للشاعر بكامله، ولكن معظم تلك التصنيفات جاء ثمره لأحكام معدة سلفاً تصدر دون تبرير حقيقي"⁽⁶⁾.

فإذا ما جئنا إلى طبيعة النقد العربي قبل الإسلام، نجد "كان ذوقاً فطرياً عاماً يخلو في أغلب الأحيان من التعليل والتفسير، وأن النقد العربي بعد انتهاء مرحلة الرواية والتدوين بدأ يبرز ويعمل على وفق منهج"⁽⁷⁾، ولكن الأحكام النقدية في العصر الجاهلي هي انطباعية بالمطلق، وتصدر في الغالب بصورة عفوية، من منبع عاطفي، ولا يضطر الناقد للتعليل أو التفسير في نقده، وإن اضطر لذلك فهو كثير الإيجاز وفي غاية البساطة والوضوح، ولهذا فإن معظم الآراء النقدية "عفوية وبسيطة، وذات شأن تأثيري في الشاعر، مما جعل الشعراء يهابون الأحكام النقدية، ويثورون على أصحابها، ويتصدون لهم بكل قسوة، كما فعل حسان بن ثابت بالناطقة الذبياني الذي أثر الخنساء عليه في سوق عكاظ"⁽⁸⁾.

(1) حسين، طه، (1991)، من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج1، ص:270.

(2) الحسين، قصي، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، ص:35.

(3) العاكوب، عيسى علي، التفكير النقدي عند العرب، ص:35.

(4) القط، عبد القادر، (1982)، مفهوم الشعر عند العرب، (د.ط)، ترجمة عبد الحميد القط، دار المعارف، القاهرة، ص:58.

(5) الحسين، قصي، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، ص:26.

(6) القط، عبد القادر، مفهوم الشعر عند العرب، ص:23.

(7) الصفر، ابتسام مرهون (وزميلها)، (2006)، محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، (د.ط)، جبهة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص:20.

(8) الحسين، قصي، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، ص:26-27.

ويظهر لنا أن الشاعر الذي "يهذب ويشذب وينقح ويعدل يمارس النقد للنص الذي يبدعه... وهو نقد ملازم للعملية الإبداعية ومتمم لها، والمستمتع -أو القارئ- الذي يصوب ويميز ويوازن ويقوم، إنما يمارس نقداً (تالياً) للعملية الإبداعية، ويظهر أن هذين النوعين وجدا في عصر ما قبل الإسلام"⁽¹⁾.

لقد انبثق مع النقد الذاتي التأثيري الانطباعي النقد الموضوعي، بحيث أننا نجد أن النقد الذاتي يعتمد على الشعور الذي قد يكون مبهماً، بينما النقد الموضوعي يعتمد على الموضوعية التي تعتمد على عناصر وقواعد محددة في تقويم العمل الأدبي، ولذا فالشكل الذاتي يتلون بالعواطف، ويعبر عن مصالحه ورغباته، وفي الشكل الموضوعي يتجلى فيه أحكام واستنتاجات منطقية، ويستند إلى معايير في نظام من المعاني الموضوعية، ويقف خارج المصالح الشخصية للفرد ولرغباته وطموحاته، وبذلك تكون الذاتية المعتمدة على الذوق والمزاج الشخصي قد تقود إلى أحكام غير منطقية أو أحكام غير معقدة، ولا تقوى على إقناع الآخرين مما جعل بعض النقاد يحذر من الاعتماد على التأثيرية في النقد التي تعتمد على الذاتية الخالصة⁽²⁾.

ويرى فريق من الباحثين "أنه من المستحيل نظرياً أن يكون الشعر قد حقق هذا التفوق الفني في العصر الجاهلي، دون أن يكون وراءه فعالية نقدية، أو قوة نقدية استمرت تتابعه وتوجهه على نحو من الأنحاء، حتى استطاع هذا الشعر أن يبلغ مثل هذه المنزلة"⁽³⁾، كما أن أكثر الروايات النقدية تدل على وجود نقد، لكنه نقد ليس وراءه فكر نقدي منظم، ولا قاعدة يستند إليها، وإنما هي أحكام جزئية ومختصرة، موزعة ومبعثرة، وتتصف بأنها أحكام انفعالية آنية، تخضع لأهواء الناقد، وليس إلى مذهب نقدي⁽⁴⁾.

يعد الأصمعي من أوائل النقاد النحويين الذين يمثلون اتجاه النقد الموضوعي في عصره، وقد استطاع أن يثبت الصلة بين شعر حسان وبين الحياة الاجتماعية دون أن يعتمد على تحليل شعره فنياً، ودون أن يقيم من ذوقه الفني مقياساً لقياس جودة الشعر، "والحق أن الرواة واللغويين في العصر الأموي كانوا قد بذلوا جهوداً مضنية في نقد الشعر، وتبيان مقدار جودته الفنية وتعليلها بناء لمقاييس وشروط وقواعد ومناهج قاسوا بها فنية الشعر، وعبقورية الشاعر في العصرين الجاهلي والإسلامي، فنشأ على أيديهم النقد الموضوعي والنقد التاريخي للشعر العربي"⁽⁵⁾.

إن التصاق الأصمعي بالرواية واللغة لم يسمح له أن يحس بوضوح بالتغيير والتطور في الذوق العام، أو في طبيعة الفن الشعري، أو في المقاييس الأخلاقية، أو في المستوى الثقافي أو غيرها، ولكن مع ذلك، يعد نقد الأصمعي بداية النقد المنظم؛ لأنه أحس ببعض المفارقة التي أخذت تبدو في أفق الحياة الشعرية، غير أنه بدلاً من أن ينظر إلى المشكلة في ضوء تطوري، نظر إليها من خلال موقف ثابت، نظر إلى الشاعر فوجده أحد اثنين، إما فحل، أو غير فحل، ونظر إلى منبع الشعر فوجده إما في الخير أو في الشر، وليس بسبب تدينه قرن الشعر بالشر، ولكن لأن الشر عنده هو صورة النشاط الدينيوي جملة، والشعر ينبع من ذلك النشاط⁽⁶⁾.

(1) الصفار، ابتسام مرهون (وزميلها)، محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، ص: 20.

(2) السعافين، إبراهيم (وزميله)، (1994)، مناهج تحليل النص الأدبي، ط 1، جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ص: 45-46.

(3) الحسين، قصي، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، ص: 20.

(4) نفسه، ص: 29.

(5) الحسين، قصي، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، ص: 77.

(6) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 647.

وإذا ما نظرنا إلى النقد اللغوي نجده يعالج دلالات الألفاظ وصحة التراكيب وضعفها، ويلفت النظر إلى بعض المآخذ اللغوية، التي يجدها الناقد عند الشعراء، أما النقد الفني فهو النقد الذي يقصد تقويم الشعر بصفته شعراً، فتكون معايير ذات صلة بالشعر معنى وصياغة، وصورة وغرضاً، وإحساساً وتجربة، ومذهباً في القول⁽¹⁾، كما ترتبط بالنقد اللغوي ظاهرة الاحتجاج أو الاستشهاد⁽²⁾.

وعندما نصل إلى ابن سلام نجده يقسم الشعراء في كل عصر إلى طبقات، بحيث يوحى هذا التقسيم أن التفاوت بين الشعراء كان بسبب المنزلة الأدبية، أو بسبب سيورة الشعر، أو كثرة النتاج الأدبي، أو جودته، أو بسبب القدرة على التصرف في فنون الشعر المختلفة، ولهذا جاء تصنيفه للشعراء "بحسب بيئاتهم: مثل: شعراء القرى، وشعراء المدينة...، إنما كان لتوضيح أثر البيئة في الإبداع الشعري، والإقرار بأن البيئات الجاهلية لم تكن جميعها سواء في إنتاج الشعر وإبداعه⁽³⁾.

ولا نجد عند ابن قتيبة غير مقياس الشهرة الذي اعتمده الآخرون من قبله، فهو قد أهمل المقاييس التي نجدها عند ابن سلام، من مثل الزمان والمكان، أو الكم وتعدد الأغراض عند الشاعر⁽⁴⁾. لقد ظهرت بعض القضايا النقدية في كتب الطبقات والاختيارات من خلال الأحكام النقدية الانطباعية التي كانت تدور على ألسنة النقاد، ثم أخذت تظهر بوضوح مع بواكير مرحلة التأليف في النقد، وأول ما نلاحظها عند ناقد كالأصمعي في القرن الهجري الثاني في كتابه "فحول الشعراء"، الذي اتكأ عليه من ألفوا بعده في النقد، وتوسعوا في كل ما عرض له الأصمعي، ولعلنا نفيد كثيراً مما مهّد له مؤلفو كتب طبقات الشعراء بمقدمات نقدية تكشف مذاهبهم، والأسس التي اعتمدوا عليها في الاختيار والتصنيف، كمقدمة ابن سلام في كتابه "طبقات الشعراء"، ومقدمة ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء"، ومقدمة ابن المعتز في كتابه "طبقات الشعراء"، ومقدمة "جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي وغيرهم⁽⁵⁾.

ويقول ابن سلام في طبقاته: "فاقتصرنا في هذه على فحول الشعراء الإسلاميين؛ للاستغناء عن فحول الشعراء الجاهليين بطبقاتي المؤلف في ذلك، ورتبت هذا المؤلف على عشر طبقات، كل طبقة تجمع أربعة من فحول شعراء الإسلام"⁽⁶⁾، ولئن كان الذوق بما يحمله من انطباعية وميول هو المتحكم في تقييم النتاج الأدبي، فإن ابن سلام نجح في أن يجعل من النقد علماً مستقلاً، وأن يضع اللبنات الأساسية لبناء نقد منهجي سليم، فاستطاع أن يميز بين الرواة الموثوقين، والرواة الوضاعين، وله الفضل في حفظ الآراء والنظرات النقدية من الضياع⁽⁷⁾، وقد كان ابن سلام أشد صلة بالنقد المدروس من الأصمعي، ولكنه يشبهه في أنه حصر رؤيته ضمن ذلك "الثبوت" الذي يمثله الشعر الجاهلي والإسلامي، وهو كالأصمعي يرى الشاعر فحلاً أو غير فحل، لكنه يزيد عليه في أن الفحولة درجات، ومن ثم كانت نظريته في الطبقات⁽⁸⁾، حيث قسم ابن سلام الشعراء حسب أزماهم إلى جاهليين

(1) الصفار، ابتسام مرهون (وزميلها)، محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، ص: 90.

(2) نفسه، ص: 98.

(3) الحسين، قصي، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، ص: 87.

(4) المجالي، جهاد شاهر، (1985)، مفهوم الطبقات في النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير، ص: 59.

(5) نفسه، ص: 122.

(6) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 51.

(7) المجالي، جهاد شاهر، مفهوم الطبقات في النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 77.

(8) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 647.

ومخضرمين وإسلاميين، وهذا يوحي بأنه يفضل المنهج التاريخي⁽¹⁾. ويربط البعض بين فحول الجاهلية والإسلام، ويورد السيوطي في مزهره قولاً يريده إلى الحذاق، فيقول: "وكان الحذاق يقولون: الفحولة في الجاهلية ثلاثة، وفي الإسلام ثلاثة متشابهون: زهير والفرزدق، والنابغة والأخطل، والأعشى وجريز"، وحكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة: كفاك من الشعراء أربعة: زهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنزة إذا كلب (غضب)، وزاد قوم: وجريز إذا غضب⁽²⁾.

وأجد بأن النقاد قد ميزوا بين الذاتية في تقدير العمل الأدبي والموضوعية، فالذاتية تعتمد على الشعور الذي قد يكون غير واضح، بينما الموضوعية تعتمد على عناصر وقواعد محددة في تقويم العمل الأدبي وتقديره، والذاتية في تقويم العمل الأدبي هي أساس الموضوعية فيه، ويصعب علينا أن نجرد الناقد من ذوقه الخاص وميوله النفسية، ومشاعره الذاتية نحو هذا العمل، أو تجاربه الشعرية نحو نص أدبي ما، مما يجعل عملية التقويم هي عملية تفاعل بين النص (العمل) والناقد.

كما ألاحظ تفاوتاً في المقاييس النقدية في تصنيف الشعراء، فابن سلام يتعصب للقديم، وابن المعتز للحديث، والجاحظ وابن قتيبة كانا توفيقيين، بعد ذلك جاء نقاد كالقاضي الجرجاني، وابن رشيق، فاعترضوا على أن يكون الزمن هو الفيصل في الحكم على الشعراء، ورأوا أن الجودة هي المعيار الأسلم⁽³⁾.

- الميزان النقدي عند الأصمعي في كتابه "فحولة الشعراء":

من أوائل الرواة، إن لم يكن أولهم، ومن أوائل النقاد، إن لم يكن رائدهم، إنه "الأصمعي"، صناجة الرواة والنقلة، وإليه محط الأعياء والثقلة، ومنه تجي الفقر والملح، وهو ربحانة كل معتبِق ومُصْطَبِح، كانت مشيخة القراء وأمانتلهم تحضره وهو حدث لأخذ قراءة نافع عنه، ومعلوم قدر ما حذف من اللغة فلم يثبت؛ لأنه لم يقو عنده إذ لم يسمعه⁽⁴⁾.

إن كتاب "فحولة الشعراء" للأصمعي اهتم بقضية طبقات الشعراء، وهو أقدم من كتاب ابن سلام، وقد نظر الأصمعي لهذه القضية من خلال موقف ثابت، فاعتبر الشعراء طبقتين، طبقة فحول الشعراء وطبقة غير الفحول، وقد أفاد ابن سلام من نظرات الأصمعي النقدية، وحذا حذوه في تخير طبقة الفحول من الشعراء⁽⁵⁾، "فبعد أن كان الأصمعي ينظر للفحولة من منظور ثابت، حصره في درجتين، يأتي ابن سلام ليجعل منها درجات متعددة، أوصلها إلى عشر في كل من العصرين الجاهلي والإسلامي⁽⁶⁾".

وأجد الأصمعي في كتابه "فحولة الشعراء" يضع ميزاناً نقدياً ربما لم يسبق إليه، وسار على نهجه كثير من النقاد ممن جاءوا بعده، وكان من أهم المقاييس النقدية التي اعتمدها في ميزانه النقدي في كتابه هذا، هي "الفحولة"، وقد ورد هذا المصطلح في لسان العرب: "فحول الشعراء هم الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم، مثل جرير، والفرزدق، وأشباههما، وكذلك كل من عارض شاعراً فغلب عليه... والفحول: الرواة، الواحد فحل⁽⁷⁾، وجاء في الوسيط، "فحول الشعر أو العلم: الفائقون فيه"⁽⁸⁾.

(1) الحسين، قصي، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، ص: 87.

(2) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 2، ص: 479.

(3) المجالي، جهاد شاهر، مفهوم الطبقات في النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 94.

(4) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 2، ص: 415.

(5) المجالي، جهاد شاهر، مفهوم الطبقات في النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 415.

(6) نفسه، ص: 73.

(7) ابن منظور، محمد بن مكرم، (1994)، لسان العرب، ط 3، دار صادر، بيروت، لبنان. مادة: فحل.

(8) مصطفى، إبراهيم (وزملاؤه)، (د.ت)، المعجم الوسيط، (د.ط)، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول، تركيا. مادة: فحل.

واستخدمت العرب كلمة (فحل) في كل ما يوحي بالغلبة والقوة، وهي في الشعر لا تغادر هذه الدلالة، وفحول الشعراء هم المبرزون منهم والمتقنون⁽¹⁾، وفي كتاب "فحولة الشعراء" للأصمعي: سأل أبو حاتم أستاذه الأصمعي عن معنى "الفحل" فقال: "من كان له مزية على غيره، كمزية الفحل على الحفاق. (جمع حق، من الإبل الداخلة في السنة الرابعة)"⁽²⁾.

ولعل "فحولة الشعراء" الأصمعية، وآراءه النقدية في مضمار هذه الفحولة، تجعل من فحولة الشعراء عنده، غيرها الرجولة من المنظور الجمالي التقليدي، التي تعني القوة في الجسم والنفس، والسمو في المطامح، والنبيل في المقاصد، والرجاحة في العقل، والمبالغة في الكرم⁽³⁾. أما فحولة الأصمعي، فهي مختصة في الشعر والقدرة الشعرية في إبداع الشاعر لشعره. ويتجلى في نص الفحولة عند الأصمعي: "أن الفحولة صفة عزيزة، تعني التفرد الذي يتطلب غلبة صفة الشعر على كل الصفات الأخرى في المرء، كما أن غلبة صفة الشعر تستدعي عدداً معيناً من القصائد التي تكفل لصاحبها التفرد"⁽⁴⁾، ونقل عن الأصمعي نصاً يقول فيه: "لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعلم العروض؛ ليكون ميزاناً له على قوله، والنحو ليصلح به لسانه، وليقيم إعرابه، والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم"، ولهذا تعني الفحولة "طرازاً رفيعاً في السبك، وطاقاً كبيرة في الشاعرية، وسيطرة واثقة على المعاني"⁽⁵⁾.

وقد لقيت العرب الشعراء ألقاباً تشي بحظ الواحد منهم من قوة النظم، فأعلى منازل الشعراء عند العرب (الخنذيد) وهو التام والفحل، ودونه الشاعر، ورابعهم الشعور⁽⁶⁾، وتأكيداً لهذه الألقاب وصحة ورودها، فقد ذكر السيوطي وابن رشيق أن الشعراء أربعة: شاعر خنذيد، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره الجيد من شعر غيره، وسئل رؤية عن الفحول فقال: هم الرواة، وشاعر مفلق، وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجود كالخنذيد في شعره، وشاعر فقط، وهو فوق الرديء بدرجة، وشعور وهو لا شيء، وقيل: بل هم: شاعر مفلق، وشاعر مطبق، وشويعر، وشعور، والمفلق الذي يأتي في شعره بالفلق، وهو العجب، وقيل: هو الداهية⁽⁷⁾، وفي كلا الروايتين نجد تقارباً في استخدام كلمة (فحل)، فهي للشاعر الخنذيد الشجاع، وهي للرواة المتصنفين بجودة الشعر.

(1) العاكوب، عيسى علي، التفكير النقدي عند العرب، ص: 107.

(2) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، (د.ت)، كتاب فحولة الشعراء، تحقيق المستشرق: ش. توري، قدم له: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ص: 9.

(3) خليل، أحمد محمود، (1996)، في النقد الجمالي، رؤية في الشعر الجاهلي، ط 1، دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ص: 84.

(4) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 40.

(5) نفسه، ص: 40-41.

(6) العاكوب، عيسى علي، التفكير النقدي عند العرب، ص: 25-26.

-الملاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج 2، ص: 9.

(7) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 2، ص: 489-490.

-القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، ص: 99.

المبحث الثاني

الدراسة التطبيقية

وقد وجدت الأصمعي في كتابه "فحولة الشعراء" قد اتجه في آرائه النقدية اتجاهات متعددة، ولكنها في أغلبها تبقى في إطار مبدأ الذاتية النقدية، والتأثرية الشخصية، والانطباعية الفردية، دون الرجوع إلى النقد المنهجي المعلن، إلا ما كان منها في بعض الأحيان من آراء نقدية حول بعض الشعراء، ولكنها في جلّها لا تكاد تصل إلى النقد المعلن الواضح، والذي له قواعده وقوانينه، وإذا كان الأصمعي اعتمد مبدأ الفحولة، فإننا نجد ابن سلام قد جعله أحد الأسس في التدرج الطبقي، كقوله مثلاً: "وهم أربعة رهط فحول شعراء، وإنما أحل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة"⁽¹⁾. وقد أخذ ابن سلام ينتقي شعراءه بعناية فائقة معتمداً على حجج العلماء الثقات فيهم، وهو حينما وجد الشعراء كثيرين، فقد اختار الفحول منهم، ولما كان الفحول أيضاً لا يستقصون، فإنه اختار فحول الفحول منهم⁽²⁾، ومع ذلك فإننا نجد ابن سلام أهمل بعض فحول الشعراء، وكذلك أهمل ابن قتيبة فحولاً كأي تمام والبحري وابن الرومي⁽³⁾.

بلغت مجموعة الشعراء الفحول هذه (أربعة عشر) شاعراً، أطلق عليهم الأصمعي لقب (فحل)، دون أن يضيف لأي منهم إضافة أو تعليقاً، وكأن الأصمعي وجد فيهم ميزة الفحولة المتمثلة بإتقان الشعر بطريقة لا يتميز بها أحد مثلهم. ولعل مصطلح الفحولة جاء به الأصمعي ليتناسب مع طبيعة البداوة التي عاشها في البادية، فهذا المصطلح هو من البيئة التي عاشها الشاعر، حيث كانت كلمة (فحل) تطلق على (فحل) أو ذكر الإبل، والغنم، والماعز، وغيرها، وهو مصطلح نقدي قديم أولي، أطلقه الأصمعي على الشعراء المميزين، وهذا المصطلح يعود بنا أيضاً إلى "طريقة الخليل بن أحمد في انتخاب الألفاظ الدالة على الشعر من طبيعة الحياة البدوية، فالفحل جملاً كان أو فرساً يتميز بما يناقض صفة اللين التي يكرها الأصمعي في الشاعر، وبالفحولة يتفوق على ما عده"⁽⁴⁾.

وقد قسمت آراء الأصمعي النقدية التي اعتمدها كميزان نقدي يحكم بها على الشعراء في كتابه هذا إلى مجموعة من الآراء أبنتها كما يلي:

أولاً: مقاييس لها علاقة بالفحولة:

1. شعراء أطلق عليهم الأصمعي لقب "فحل" دون تعليق منه أو إضافة، وشعراء هذه المجموعة هم:

1.1 علقمة بن عبدة: "فحل"⁽⁵⁾: ونجد الشخصية الأولى من المجموعة الأولى التي أطلق عليها الأصمعي لقب (فحل) (فحل) هو علقمة الفحل، أو علقمة بن عبدة، وقد جعله ابن سلام الشخصية الثانية بعد (طرفة بن العبد)، من الطبقة الرابعة الذين وصفهم "وهم أربعة رهط فحول شعراء، موضعهم الأوائل، وإنما أحل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة"⁽⁶⁾، وكل المصادر القديمة تحدثت ما حكمت به زوجة امرئ القيس لصالح علقمة بعد المباراة الشعرية بينهما⁽⁷⁾، ومن ذلك نجد ابن

(1) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 78.

(2) نفسه، المجالي، جهاد شاهر، مفهوم الطبقات في النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 55.

(3) نفسه، ص: 60.

(4) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 39.

(5) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 11.

(6) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 78.

(7) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 31.

سلام يعد علقمة الفحل من الفحول، والأوائل، وإن كان قد أحل بمكانتهم قلة شعرهم بأيدي الرواة، فلو كانوا ممن كثر شعرهم لوجدنا شعرهم ومكانتهم أسمى من ذلك، ثم يقول ابن سلام: "ولابن عبدة ثلاث روائع جياذ لا يفوقهن شعر"، الأولى: "ذهبت من المجران كل مذهب"، والثانية: "طحا بك في الحسان قلب طروب"، والثالثة: "هل ما علمت وما استودعت مكتوم"⁽¹⁾. وبهذا نجد التشابه في الحكم النقدي بين الأصمعي وابن سلام.

2.1 الحارث بن حلزة: "فحل":⁽²⁾ ويقول عنه بأنه ارتحل قصيدته "آذنتنا بينها أسماء" بين يدي عمرو بن هند، وكان ينشده من وراء سبعة ستور، فأمر برفع الستور عنه استحساناً لها"⁽³⁾، وقال المرزباني في موشحه: "فلما سمعها عمرو دعاه فأكرمه وأذناه"⁽⁴⁾، ووصفه ابن شرف القيرواني بأنه يخطب بالموزون، "وهو من شعراء وائل، وأحد أسنة هاتيك القبائل"⁽⁵⁾. وهذا يؤكد حكم الأصمعي.

3.1 المسيب بن علس: "فحل":⁽⁶⁾ أما المسيب بن علس، الذي وصفه الأصمعي بأنه "فحل"، نجد له ذكراً في كتب النقد القديمة، فقد عده ابن سلام من شعراء الطبقة السابعة، وهو من شعراء الجاهلية في ربيعة"⁽⁷⁾، ووصفه ابن قتيبة بأنه من الشعراء المعدودين"⁽⁸⁾.

4.1 حسان بن ثابت: "فحل"⁽⁹⁾: وهو رابع الفحول عند الأصمعي، وهو شاعر مخضرم، صنع له مجداً تليداً كونه شاعر الرسول ﷺ، وعده ابن سلام أول فحول المدينة من طبقة شعراء المدن، ونعته ابن سلام بأنه أشعر شعراء المدن، وقال عنه: "وهو كثير الشعر جيده"⁽¹⁰⁾، ويروي المرزباني عن الأصمعي أنه قال: "طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره باب الخير - من مرثي النبي ﷺ، وحمزة، وجعفر - رضوان الله عليهما - وغيرهم، لان شعره، وطريق الشعر هو طريق الفحول، مثل امرئ القيس، وزهير، والنابعة، من صفات الديار والزحل، والهجاء، والمديح... فإذا ما أدخلته في باب الخير لان"⁽¹¹⁾. وهو فحل من فحول الشعراء، وأشعر أهل المدر، وأحد المعمرين المخضرمين"⁽¹²⁾، وكل ما أوردته يؤكد على تقدم حسان وسبقه الشعري، ورفعة مكانته، وأنه أهل لحكم الأصمعي النقدي عليه بأنه فحل.

-المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، (1995)، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ط1، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص:39.

- (1) الحمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص:79.
- (2) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص:11..
- (3) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص:29.
- (4) القيرواني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ج1، ص:37.
- (5) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص:96.
- (6) القيرواني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ج1، ص:25.
- (7) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص:11.
- (8) الحمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص:89، 55.
- (9) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص:32.
- (10) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص:11.
- (11) الحمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص:111.
- (12) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص:78.
- (12) (الأصفهاني، ج4، 1997، ص:352).

5.1 قيس بن الخطيم: "فحل":⁽¹⁾ ويؤكد الأصمعي على فحولة قيس بن الخطيم، ويؤيد ذلك ابن سلام، ويجعله من من فحول المدينة، لكنه يقول في موضع آخر: "وقيس بن الخطيم شاعر، فمن الناس من يفضل على حسان، ولا أقول ذلك"⁽²⁾، أي أنه يرى فيه منزلة أقل من منزلة حسان، رغم أنه في البداية عده من طبقته، وإن أخره في الترتيب. وجعله النابغة النابغة "أشعر الناس عندما قال له: أنت أشعر الناس يابن أخي"⁽³⁾، وهذا يؤيد ما ذهب إليه الأصمعي وغيره حول مكانة قيس الشعرية.

6.1 المرقشان: "فحلان":⁽⁴⁾ وصنع الأصمعي من المرقشين فحلين، ولم أجد غيره من النقاد القدامى فعل ذلك، أو حتى من رفع من مكانتهما، "المرقشان" هما المرقش الأكبر، وهو "ربعة بن سعد بن مالك"، من قيس، والمرقش الأصغر هو "عمرو بن حرمة"، وقيل هو ربعة بن سفيان بن مالك، وأحد عشاق العرب المشهورين⁽⁵⁾. قال الأصفهاني بأن اسم المرقش الأكبر هو عوف، وقيل: عمرو بن مالك بن ضبيعة، وكان المرقش الأصغر وهو ابن أخ المرقش الأكبر واسمه ربعة بن سفيان بن مالك، وقيل: عمرو بن حرمة بن مالك، كان لهما موقع في بكر وحروبها مع بني تغلب، والأصغر عم طرفة بن العبد، والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً⁽⁶⁾ ولا تأكيد من الأصفهاني على علو مكانتهما الشعرية بين الشعراء.

7.1 ابن قميئة: "فحل":⁽⁷⁾ و"ابن قميئة" شاعر فحل عند الأصمعي، وعده ابن سلام أول الطبقة الثامنة⁽⁸⁾، وهو من من "رهط طرفة بن العبد، وهو قديم جاهلي، كان مع حجر أبي امرئ القيس"⁽⁹⁾.

8.1 الشماخ: "فحل":⁽¹⁰⁾ و"الشماخ" كذلك شاعر فحل عند الأصمعي، وذكر ابن قتيبة بأن اسمه "معقل بن ضرار"، وهو أوصف الشعراء للقس والحمر، وهو جاهلي إسلامي، قال الحطيئة: أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان⁽¹¹⁾، ويقول ابن سلام بعد أن جعله في الطبقة الثالثة بأنه "شديد متون الشعر، أشد أسر الكلام من لبيد، وكان للشماخ أخوة، وهو أفحلهم"⁽¹²⁾.

9.1 مالك بن حريم الهمداني: "فحل":⁽¹³⁾ وبعد الشماخ قال الأصمعي عن "مالك بن حريم الهمداني"، بأنه من الفحول.

- (1) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 11-12.
- (2) الحمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 115، 120.
- (3) (الأصفهاني، ج 3، 1997، ص: 9).
- (4) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 12.
- (5) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 29-30.
- (6) (الأصفهاني، ج 6، ص: 376، 381).
- (7) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 12.
- (8) الحمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 90.
- (9) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 84.
- (10) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 12.
- (11) نفسه، ص: 61.
- (12) الحمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 76.
- (13) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 12.

10.1 أبو ذؤيب الهذلي: "فحل":⁽¹⁾ وكما أقر الأصمعي بفحولة أبي ذؤيب الهذلي، يقر له ابن سلام بالفحولة أيضاً، أيضاً، فيقول: "وكان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غميرة فيه ولا وهن... سئل حسان: من أشعر الناس؟ قال: وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب"⁽²⁾. وقال فيه ابن شرف القيرواني: "أمير الشعر حكيمه، شغله فيه التجريب حديثه وقديمه، وله المراثية النقية السبك، المتينة الحبك، فيها بنية السبعة"⁽³⁾.

11.1 ساعدة بن جؤبة: "فحل":⁽⁴⁾ وساعدة بن جؤبة فحل، كما أشار الأصمعي في ميزانه.

12.1 أبو خراش الهذلي: "فحل":⁽⁵⁾ وهو شاعر فحل من الشعراء المذكورين الفصحاء، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم، وهو من بين مجموعة من الشعراء، قال الأصمعي وأبو عبيد وأبو عمرو وابن الأعرابي عنهم: بأنهم شعراء دهاة سراعاً لا يذكرون عدواً⁽⁶⁾ وما ذكره الأصفهاني يؤيد ما ذهب إليه الأصمعي في فحولته بأنه فحل.

13.1 خدّاش بن زهير العامري: "فحل":⁽⁷⁾ وخدّاش بن زهير العامري كسابقيه في الفحولة، وقال عنه ابن قتيبة، "وهو من قيس المجيدين في الجاهلية"⁽⁸⁾، ونقل ابن سلام عن أبي عمرو بن العلاء قوله عن خدّاش: "هو أشعر في قريحة الشعر الشعر من لبيد، وأبى الناس إلا تقدمة لبيد"⁽⁹⁾.

2. شعراء أطلق عليهم الأصمعي لقب "فحل" أو "من الفحول"، أو "أول الفحول" وغير ذلك، مع تعليق له أضافه بعد اللقب، وهم:

1.2 النابغة الذبياني: "أول الفحول"، "وهو أشعر الناس"، "ولا يصلح زهير إلا أن يكون أجيراً عنده"، وقال: "النابغة وأوس وزهير لا يحسنون وصف الخيل"، "وهو أشعر الناس طراً، ولم يتقدم عليه أحد، ولا أدركت العلماء بالشعر يفضلون عليه أحداً"⁽¹⁰⁾. وجاءت هذه المجموعة من أحكام الأصمعي النقدية في ميزانه النقدي من كتابه "فحولة الشعراء"، وقد أظهر في أولها "النابغة الذبياني"، في المرتبة الأولى للشعراء، إن لم يكن أولهم، فهو أول الشعراء، وهو أشعر الناس طراً، ولم يتقدم عليه أحد، وعلماء الشعر لا يفضلون عليه أحداً، كل هذه الصفات والميزات جعلت النابغة الذبياني في عين الأصمعي، وضمن مقياسه النقدي أول الفحول، وأشعر الناس، مما رفع من قيمة النابغة الشعرية، وجعلت له مرتبة لم يصل إليها غيره. ويروي ابن قتيبة أن "النابغة أحسن الناس ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزهم بيتاً، كأن شعره كلاماً ليس فيه تكلف، ونبغ بالشعر بعد ما احتك"⁽¹¹⁾. وورد عند ابن سلام بلفظ مقارب⁽¹²⁾، وذكر صاحب العمدة بأن أبا بكر - رضي

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 14.

(2) نفسه، ص: 76.

(3) القيرواني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ص: 28.

(4) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 14.

(5) نفسه.

(6) (الأصفهاني، ج 21، 1997، ص: 142).

(7) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 15.

(8) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 151.

(9) الحمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 81.

(10) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 9.

(11) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 20.

(12) انظر: الحمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 61.

الله عنه - قدم النابغة وقال عنه: "هو أحسنهم شعراً، وأعذبهم بحراً، وأبعدهم قعراً"⁽¹⁾، كما روي عن أبي عمرو قوله: "أشعر الناس أربعة: امرؤ القيس، والنابغة، وطرفة، ومهلل"⁽²⁾، ويورد المرزباني غير عيب في شعر النابغة، والتي منها الإقواء الذي قال قال بعد أن عرفه: "دخلت يثرب وفي شعري شيء، وخرجت وأنا أشعر الناس"⁽³⁾ وقال ابن شرف القيرواني عن شعره: "فشعره وسائط سلوك، وتيجان ملوك"⁽⁴⁾.

من خلال ما تقدم في هذه اللوحة النقدية الذبيانية التي بدأها الأصمعي بـ "أول الفحول"، وأنهاها ابن شرف بـ "تيجان الملوك"، ذكر النقاد فيها معايير نقدية غير معقدة، جعلت من ذائقة الأصمعي النقدية الفحولية تتميز على غيرها من ذائقات النقاد، بل وجاء غيرها داعماً لها، إلى أن جاء وصف "طه حسين" له من المحدثين بأنه "قوي الشعر، عظيم الحظ بين الشدة والصلابة"⁽⁵⁾؛ ليؤكد على هذه المعيارية التي اختطها الآخرون.

2.2 أعشى همدان: "من الفحول": وهو إسلامي كثير الشعر"⁽⁶⁾، والأصمعي هنا يؤكد على أن أعشى همدان من الفحول، وهو شاعر إسلامي، وكثير الشعر، ولعل هذه الإضافة من الأصمعي تعطي إضاءة على شخصية الشاعر بأنه ليس جاهلياً، وبأنه كثير الشعر، ولعل كثرة شعره ساهمت في أن يصبح من الشعراء الفحول، وهو عبد الرحمن بن عبد الله ابن همدان، شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الأموية"⁽⁷⁾، وربما هذه الإضافة تثري حكم الأصمعي بفحولة أعشى همدان.

3.2 المتلمس: "رأس فحول ربيعة"⁽⁸⁾ وقد جعله ابن سلام أحد أربعة رهط مُحْكَمِينَ، في أشعارهم قلة"⁽⁹⁾، ولعل فحولة المتلمس جعلها الأصمعي مقيدة في قبيلة ربيعة فقط، ومحصورة فيها، فهو رأس فحولهم.

4.2 أعشى باهلة: "فحل"، وله مرثية ليس في الدنيا مثلاً"⁽¹⁰⁾ وعده ابن سلام من طبقة أصحاب المراثي، رثى المنتشر بن وهب الباهلي"⁽¹¹⁾. ولعل الذي رفع مقام هذا الشاعر مرثيته في المنتشر، فقد عدها الأصمعي "ليس في الدنيا مثلاً"، وجعلها سبباً إضافياً في رفع مكانته وجعله فحلاً.

5.2 دريد بن الصمة: "من فحول الفرسان"، ودريد في بعض شعره أشعر من الذبياني، وكاد يغلب الذبياني، وقال عنه مرة "دريد وخفاف أشعر الفرسان"⁽¹²⁾، وقال فيه ابن شرف القيرواني: هو "أول من تغزل في رثاء، وهزل في حزن وبكاء، فقال في معبد أخيه قصيدته المشهورة يرثيه: أرث جديد الجبل من أم معبد، وهي من شاحيات النوائح، وباقيات

(1) القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، 82.

(2) نفسه، ص: 84.

(3) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء. ص: 52.

(4) القيرواني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ص: 26.

(5) حسين، طه، من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، ج1، ص: 203.

(6) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 14.

(7) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء. ص: 226.

(8) الأصفهاني، ج، 6، 1997، ص: 313.

(9) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 15.

(10) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 88.

(11) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 15.

(12) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 15، 18.

(12) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 15، 18.

المدائح⁽¹⁾ (القيرواني، 1983، ص: 27)، وإن شرف بهذه الشهادة الفنية لدريد بن الصمة يزيد من مقامه بين الشعراء، ويعطيه مكانة مرموقة في الرثاء، والمديح، مع التفتن فيهما، وهو فارس شجاع، شاعر فحل، أطول الفرسان الشعراء غزواً، وأبعدهم أثراً، وأكثرهم ظفراً⁽²⁾. أما الأصمعي فقله فيه يجعل له قيمة تكاد تعلو على قيمة النابغة الذبياني، فهو يحاول أن يجعله يتفوق عليه في بعض شعره كما ذكر، رغم إنه ضيق هذه الفحولة، بأن حصرها في الفرسان، ولكن تأكيده عليه بأنه أشعر الفرسان، يعطي هذا المصطلح النقدي حيوية وفاعلية جديدة.

6.2 طفيل الغنوي: "فحل"، "مخبر: يسمى في الجاهلية مخبراً لحسن شعره، وطفيل عندي في بعض شعره أشعر من امرئ القيس، وقد أخذ طفيل من امرئ القيس شيئاً"، "وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: دعوا لي طفيلاً فإن شعره أشبه بشعر الأولين من زهير، وهو فحل"⁽³⁾، ويضيف ابن قتيبة: "وكان من أوصف العرب للخيل، فقال عبد الملك: من أراد ركوب ركوب الخيل، فليرو شعر طفيل، وقال معاوية: دعوا لي طفيلاً، وسائر الشعراء لكم"⁽⁴⁾. لقد أضاف الأصمعي صفة أخرى لفحولة طفيل الغنوي، وأكدها عندما قال: "يسمى في الجاهلية مخبراً لحسن شعره"، والأصمعي يبين سبب تأكيده لتحبير الغنوي لشعره؛ لأن شعره حسن، ثم يبين الأصمعي ميزة أخرى للغنوي بأنه في بعض شعره أشعر من امرئ القيس، ولكن إضافته الأخيرة، "وقد أخذ طفيل من امرئ القيس شيئاً"، جعلها منكراً دون توضيح، يجعل الناقد يتوقع احتمالات مختلفة، قد تكون فنية، وقد تكون في الموضوعات الشعرية، أو في غير ذلك، وما جاء على لسان معاوية حول طفيل الغنوي يزيد من مصداقية رأي الأصمعي حوله. وما أضافه ابن قتيبة عن جودة شعر طفيل في الخيل يتصل بنقد الأصمعي الذوقي، ولا يخرج عن هذه الدائرة إلى دائرة المعلن والممنهج.

7.2 بشر بن أبي حازم: "قصيدته التي على الرأء ألحقته بالفحول"⁽⁵⁾ وجعل اسمه ابن قتيبة "بشر بن أبي حازم"، وروى وروى قولاً عن أبي عمرو بن العلاء: "فحلان من فحول الجاهلية كانا يقويان بشر بن أبي حازم، والنابغة الذبياني..⁽⁶⁾ وهنا يرى الأصمعي أن قصيدة بشر الرائية هي التي ألحقته بالفحول، وكأنه أراد أن يقول أنه لولا هذه القصيدة لم يعد من الفحول، وما رواه ابن قتيبة عن أبي عمرو يؤكد مقياس الأصمعي في فحولة بشر أكثر من الأصمعي نفسه؛ لأن الأصمعي قيد فحولة بشر بقصيدة بشر التي على الرأء، بينما رواية ابن قتيبة جعلت فحولته مفتوحة دون قيد. ومما يؤكد قوة شاعرية بشر، ما قاله عنه الفرزدق بأنه أشعر العرب⁽⁷⁾، وهذا القول يصب في فحولته التي ارتآها الأصمعي آنفاً.

ويظهر لنا من خلال عرض المجموعة الثانية بأن الأصمعي قد جعل مقياسه النقدي محصوراً في الفحولة، ومتبوعاً بتعليقات، أو إضافات، تفسر سبب الفحولة، أو تظهر شرطاً معيناً ألحق الشاعر بالفحولة، وكلها في نهاية الأمر هي مقياس ذوقية ذاتية لا تظهر تعليلاً، ولا تقعد قاعدة نقدية.

(1) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 107.

(2) (الأصفهاني، ج 10، 1997، ص: 243).

(3) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 10.

(4) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 104.

(5) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 14.

(6) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 49.

(7) القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص: 83.

3. شعراء ليسوا بالفحول: نفى الأصمعي عن هذه المجموعة صفة الفحولة عن أصحابها، واكتفى بقوله "ليس بفحل"، دون أن يضيف أي كلمة أو تعليق، أو ذكر السبب الذي جعله يطلق عليهم هذه الصفة، وينفي عنهم صفة الفحولة، وهؤلاء الشعراء هم:

1.3 عمرو بن كلثوم: "ليس بفحل":⁽¹⁾ وقال الكميّ عنه: "عمرو بن كلثوم أشعر الناس"⁽²⁾، أما ابن شرف القيرواني فقال عن قصيدته بأنها من القصائد المحقّقات، وإحدى المعلقات، وجعلتها تغلب قبلتها التي تصلي إليها، ولم يتخلوا عنها إلا بعد قول القائل:⁽³⁾

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

2.3 أبو زيد "ليس بفحل"⁽⁴⁾: وقد جعله ابن سلام الجمحي رأس الطبقة الخامسة من الشعراء الإسلاميين، وروى قوله: كان أبو زيد الطائي من زوّار الملوك"⁽⁵⁾، ويعجب المحقق كيف جعله ابن سلام في طبقات الإسلاميين، مع أنه جاهلي⁽⁶⁾، ونلاحظ هنا أن الأصمعي أطلق عليه في ميزان الفحولة النقدي عنده أنه "ليس بفحل"، واكتفى بذلك دون تعليق أو إضافة.

3.3 ابن مقبل "ليس بفحل"⁽⁷⁾: هو تميم بن أبي مقبل، من بني العجلان، جاهلي إسلامي، وله قصيدة هي من أجود ما قال، منها:⁽⁸⁾

كان الشباب لحاجات وكن له فقد فزعت إلى حاجاتي الآخر

وما أضافه ابن قتيبة هنا لا يغير من رأي الأصمعي النقدي في ابن مقبل.

4.3 كعب بن زهير بن أبي سلمى "ليس بفحل"⁽⁹⁾: لكن ابن قتيبة جعله فحلاً مجيداً عندما قال: "وكان كعب فحلاً فحلاً مجيداً"⁽¹⁰⁾، ويروي ابن سلام قول الخطيب لكعب: "قد علمت روايتي شعر أهل البيت وانقطاعي، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك، وتضعني موضعاً، فإن الناس لأشعاركم أروى، وإليها أسرع، فقال كعب:⁽¹¹⁾

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوّز جرول

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 10.

(2) القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص: 84.

(3) القيرواني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ص: 25.

(4) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 12.

(5) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 218.

(6) نفسه، ص: 41.

(7) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 12.

(8) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 106.

(9) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 15.

(10) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 33.

(11) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 67.

ولعل روايتي ابن قتيبة وابن سلام تتعاضدان في أن كعب بن زهير فحلاً مجيداً، وإن خلع عنه الأصمعي هذه الصفة، وأكد أنه ليس فحلاً، ولكن رغم هذا التأكيد في مقياس الأصمعي، فإنه لا ينفي الفحولة والجودة عن كعب في منظار الآخرين النقدي.

4. شعراء ليسوا بفحول مع إضافة أو تعليق:

يحاول الأصمعي في المجموعة الرابعة من ميزانه النقدي، أن يسجل مجموعة من الشعراء، قال عن كل واحد منهم "ليس بفحل"، ثم أتبع هذا المقياس النقدي الذاتي إضافة أو تعليقاً، أضأت شيئاً حول هذا المصطلح النقدي الذوقي، الذي أطلقه الأصمعي نحو كل شاعر من شعراء هذه المجموعة. وتمثلت هذه المجموعة في ستة عشر شاعراً، كما يلي:

1.4 الأعشى (أعشى بني قيس بن ثعلبة) "ليس بفحل"، ثم أضاف الأصمعي: "أهل الكوفة لا يقدمون على الأعشى أحداً، وكان خلف لا يقدم عليه أحداً، قال أبو حاتم: لأنه قد قال في كل عروض، وركب كل قافية"⁽¹⁾، وروى ابن قتيبة عن أبي عبيدة قوله: "الأعشى هو رابع الشعراء المعدودين، وهو يقدم على طرفة، وكان أكثر عدد طوال جيا، وأوصف للخمير والحمير، وأمدح وأهجي"⁽²⁾، وهو "شاعر المدح والهجاء، واليأس والرخاء، والتصرف في الفنون... وأبكى هجوه علقمة" (علقمة بن علاثة)⁽³⁾. وروى الحمحي: "وقال أصحاب الأعشى هو أكثرهم عروضاً، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم مدحاً وهجاءً وفخراً وصفة... وكان أول من سأل بشعره"⁽⁴⁾. وهو الذي "جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان، وقصد ملك العجم فأنابه وأجزل عطيته"⁽⁵⁾، وفيه قالت امرأة الخلق: "إن الأعشى قدم، وهو رجل مفوه، محدود في الشعر، ما مدح مدح أحداً إلا رفعه، ولا هجا أحداً إلا وضعه"، فقال شعراً في الخلق وبناته كان سبباً في تزويج جميع بناته قبل أن يمسي ذلك اليوم⁽⁶⁾.

وذكر المرزباني بأنه "لم يكن للأعشى بيت نادر على أفواه الناس مع كثرة شعره كأييات أصحابه، ثم روى قول أحدهم: "أدركت الناس وهم يزعمون أن أكاذب بيت قالته العرب في الجاهلية قول أعشى بني قيس بن ثعلبة:"⁽⁷⁾

لو أسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر

ولعل الشهادات النقدية التي وردت آنفاً، تعطي الأعشى قدراً كبيراً عند أهل الأدب والنقد، وإن رأى الأصمعي بعدم فحولته، رغم قوله فيه "قال في كل عروض، وركب كل قافية"، وهو دلالة على توسعه في نظم الشعر، وتمكنه منه، وإن الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون أن تكون القافية عذبة الحرف، سلسلة المخرج وغير ذلك، وهو يدل على اقتدار الشاعر وسعة بصره⁽⁸⁾. ولكن ما أثبتته الآخرون له يدل على رفعة مكانته الشعرية، فهو صاحب القصائد الطوال، والأكثر والأجود مدحاً وهجاءً ووصفاً للخمير والحمير، والتصرف في الفنون، وما وجد من روايات سردها المرزباني حاول فيها التقليل من شأنه، مثل

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 11-12.

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 46.

(3) القيرواني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ص: 26-27.

(4) الحمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 63.

(5) القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص: 70.

(6) نفسه، ص: 41.

(7) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 63، 66.

(8) ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، ص: 51.

ذكره أكذب بيت قالته العرب للأعشى، فإني لا أجد فيه من الناحية الفنية -وجل ما ذكره المرزباني- ما يدل على ضعف أو تدنٍ في المكانة الشعرية للأعشى. وإني أرى أن معظم الروايات النقدية، هي في مصلحة الأعشى، وتعطيه قيمة بين الشعراء يكاد من خلالها أن يكون أولهم.

2.4 عدي بن زيد "ليس بفحل، ولا أنثى"⁽¹⁾: أجد الأصمعي في حكمه النقدي هذا قد طعن بفحولة الشاعر الشعرية، فهو ليس فحلاً، وطعن برجولته، عندما جعل الرجولة مشاكلة ومشابهة للفحولة، ومعادلاً موضوعياً لها، ذلك عندما أضاف "ولا أنثى"، فهو طعن في رجولته وشخصيته، وإن كنت أرى كذلك، أنه ربما أضافها من قبيل السخرية والاستهزاء. ويرى ابن قتيبة بأن "علماءنا لا يرون شعره حجة، وله أربع قصائد غرر"⁽²⁾. وقال ابن سلام "وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات، وله بعدهن شعر حسن"⁽³⁾، ونسب المرزباني قولاً لأبي عمرو بن العلاء ذكر فيه: "عدي بن زيد في الشعراء، مثل سهيل في الكواكب، الكواكب، يعارضها ولا يجري مجراها"⁽⁴⁾، ويبدو أن الآراء النقدية في "عدي بن زيد" متقاربة، من قبل معظم النقاد العرب القدامى، فلا أحد منهم يسم شعره بالجودة والفحولة، أو أنه أشعر الناس أو العرب، أو غير ذلك.

3.4 عروة بن الورد "هو شاعر كريم وليس بفحل"⁽⁵⁾، ولم يصف ابن قتيبة على شاعرية عروة شيئاً، وإنما ركز على سخائه عندما قال: "وكان يلقب عروة الصعاليك لسخائه"⁽⁶⁾، وقال صاحب الأغاني عنه بأنه "شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها، وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد"⁽⁷⁾. وبذلك أجمع الأصمعي وابن قتيبة والأصفهاني، على كرم عروة وجوده، وليس على شعره وجودته.

4.4 المهلهل "ليس بفحل، ولو..."⁽⁸⁾

5.4 الراعي "ليس بفحل، أشبه شعراً بالقدم وبالأول"⁽⁹⁾، وهو حصين بن معاوية بن بني نمير، سمي الراعي؛ لأنه يكثر يكثر وصف الرعاء في شعره، هجاه جرير، فأثاه الراعي فاستكفه فكف عنه، ويستحسن قوله في الاعتذار⁽¹⁰⁾، وروي بأنه هو عبيد بن حصين، من وجوه قومه، وإن كان بدياً هجاء لعشيرته، وكان يعد هجاء جرير له مُعَلَّباً، قيل: كان فحل مضر حتى ضغمه الليث، يعني جريراً⁽¹¹⁾. وذكر المرزباني عن "عمارة بن عقيل: قال عمّ عبيد الراعي: أينا أشعر أنا أم أنت؟ قال: بل أنا يا عم. فغضب وقال: بَمَ ذاك؟ قال: بأنك تقول البيت وابن أخيه، وأقول البيت وأخاه"⁽¹²⁾. وقال ابن شرف القيرواني: "وأما الراعي

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 11.

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 34.

(3) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 80.

(4) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 90.

(5) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 12.

(6) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 159.

(7) (الأصفهاني، ج 3، 1997، ص: 52).

(8) (انظر المجموعة الخامسة).

(9) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 12.

(10) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 94.

(11) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 197.

(12) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 191.

عبيد، فجبل على وصف الإبل، فصار بالرعي يعرف، ونسي ماله من الشرف"⁽¹⁾. ومن ذلك نلاحظ أن كل تلك الملحوظات النقدية الذوقية تجمع على ما تحدث به الأصمعي، فهو ليس فحلاً، وقوله: شعره أشبه بالقدسم، ربما جاءت من باب وصفه للإبل والرعي على نمط القدماء.

6.4 ابن أحمـر الباهلي: "ليس بفحل، لكن دون هؤلاء وفوق طبقته"، ولعل الأصمعي قصد من قوله "ولكن دون هؤلاء" بابن مقبل والرعي، بحسب سياق الكلام في كتاب الفحولة⁽²⁾، وقال ابن قتيبة فيه: "وأتى ابن أحمـر بأربعة ألفاظ لا تعرفها العرب"، وقال فيه أبو عمرو: "وكان ابن أحمـر في أفصح بقعة في الأرض أهلاً بين يذبل والقعاقع، يعني مولده قبل أن ينزل الجزيرة"⁽³⁾. قيل: هو عمرو بن أحمـر بن عامر الباهلي، شاعر مخضرم، قال البغدادي: كان يتقدم شعراء زمانه، وكان يكثر من الغريب في شعره⁽⁴⁾، وجعله ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين، وقال عنه بأنه "صحيح الكلام، كثير الغريب"⁽⁵⁾. ولعل في أقوال هؤلاء النقاد ما يجعلنا نأنس بحكم الأصمعي عليه، وربما ما ذكره البغدادي بأنه يتقدم شعراء زمانه، وما ذكره الجمحي بأنه صحيح الكلام يجعلنا نرفع من مكانة ابن أحمـر الشعرية قليلاً.

7.4 الأغلب: "ليس بفحل، ولا مفلح، وقد أعياني شعره"⁽⁶⁾، وهو الأغلب بن جشم بن سعد من عجل، وهو جاهلي إسلامي قتل بنهاوند، وهو أول من أطال الرجز، وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين إذا فاخر أو شاتم⁽⁷⁾، ويرى ابن سلام بأنه "كان مقدماً أول من رجز"⁽⁸⁾ من ذلك يظهر أن ميدان الأغلب على الأغلب هو الرجز، وقول الأصمعي وغيره: "ولا مفلح" أي أنه لم يصل في شعره إلى درجة الفلاح والجودة في الشعر، أما قوله: "وقد أعياني شعره"، ربما قصد من ذلك كثرة ما أضافه أولاده والرواة إلى شعره، مما أفسده كما ذكر المرزباني⁽⁹⁾، وإن حاول الجمحي أن يمتدح رجزه ويجعله مقدماً والأول فيه.

8.4 كعب بن سعد الغنوي: "ليس من الفحول، إلا في المراثية، فإنه ليس في الدنيا مثلاً.. وكان يقال له كعب الأمثال"⁽¹⁰⁾، ولعل المراثية التي ذكرها الأصمعي في رثاء أخيه أبي المغوار، حيث قال فيها⁽¹¹⁾:

وخبرتماني إنما الموت بالقرى وكيف وهاتا روضة وكثيب

والأصمعي يحكم على كعب بأنه ليس من الفحول، ثم يستثني ذلك، بأن مراثية كعب جعلته من الفحول؛ لأنه ليس في الدنيا مثلاً. ولعل هذا الاستثناء يجعلنا نجرؤ على وضعه ضمن قائمة الفحول.

(1) القزويني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ص: 28.

(2) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 12.

(3) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 77، 78.

(4) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء. ص: 99-الهامش.

(5) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 212-213.

(6) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 12.

(7) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 144.

(8) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 239.

-انظر: المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء. ص: 250.

(9) نفسه .

(10) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 14.

(11) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 110-111.

9.4 عمر بن شاس الأسدي: "ليس بفحل، هو دون هؤلاء". ربما قصد بشر بن أبي خازم والأسود بن يعفر⁽¹⁾. ولم يذكر ابن قتيبة وابن سلام وغيرهما رأياً نقدياً حول شعر عمرو بن شاس؛ ولذا يبقى الرأي على ما جاء به الأصمعي حول هذا الشاعر، ولعل في إضافة الأصمعي إلى حكمه النقدي عليه بأنه ليس بفحل، قوله: "هو دون هؤلاء"، هو تقليل لمكانة عمرو الشعرية ومنزلته بين الشعراء.

10.4 ليبد بن ربيعة: "ليس بفحل"، وقال مرة: كان رجلاً صالحاً، كأنه ينفي عنه جودة الشعر، وقال أيضاً: شعر ليبد كأنه طيلسان طبري، يعني: "إنه جيد الصنعة وليس له حلاوة"⁽²⁾. وقال عنه ابن قتيبة: هو من شعراء الجاهلية وفسانهم، أسلم ولم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى كساني من الإسلام سربالا

وقال له عمر بن الخطاب: أنشدني من شعرك، فقرأ سورة البقرة، وقال ما كنت لأقول شعراً بعد إذا علمني الله سورة البقرة، فزاد عمر في عطائه⁽³⁾. أما ابن سلام فقد قال عنه: وكان ليبد فارساً شاعراً شجاعاً، عذب المنطق، رقيق حواشي الكلام، وكان في الجاهلية خير شاعر لقومه، يمدحهم ويرثيهم، ويعد أيامهم ووقائعهم وفسانهم⁽⁴⁾. وهو "أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها، والمخضرمين ممن أدرك الإسلام، وهو من أشرف الشعراء المجيدين الفرسان القراء المعمرين"⁽⁵⁾. بعد أن أطلق الأصمعي حكمه على ليبد بأنه ليس بفحل، أضاف توضيحات أخرى لهذا الحكم، فقال عنه: كان رجلاً صالحاً، وربما فسرنا الراوي بقوله: كأنه ينفي عنه جودة الشعر، ومن المعلوم أن الأصمعي قد كررها أكثر من مرة، فنجدته يقول عن أبي دؤاد: "قال صالح، لم يقل إنه فحل"⁽⁶⁾، وقوله عن أبي دلامة "وهو صالح الفصاحة"⁽⁷⁾، ولا أعرف كيف فسرنا الراوي بأنه ينفي عنه جودة الشعر، مع العلم أن أن معنى كلمة "صالح" وتكرارها في ميزانه النقدي، كقوله صالح الفصاحة، وقول الأصمعي عن شعره بأنه طيلسان طبري، يعني أنه جيد الصنعة، وذكّر الجمحي عنه بأنه خير شاعر لقومه، وأنه عذب المنطق، ورقيق حواشي الكلام، وبأنه أشرف الشعراء المجيدين الفرسان، كل ذلك، يجعلنا نرجح جودة شعر ليبد عند النقاد القدامى، وإن لم يصل إلى الفحولة الأصمعية.

11.4 سليك بن السلكة: "ليس من الفحول، ولا من الفرسان، ولكنه من الذين كانوا يغزون فيعدون على أرجلهم فيختلسون"⁽⁸⁾. وهو أحد أغربة العرب وهجنائهم، وكان أدل الناس بالأرض، وأشدّهم عدواً على رجليه، وهو صعلوك⁽⁹⁾، حكم عليه الأصمعي بأنه ليس فحلاً ولا فارساً، ولكنه صعلوك يتحلى بخصالهم كسرعة العدو.

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 14.

(2) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 15.

(3) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 50-51.

(4) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 77.

(5) (الأصفهاني، ج 15، 1997، ص: 241).

(6) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 12.

(7) نفسه، ص: 16.

(8) نفسه، ص: 15.

(9) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 80-81.

12.4 ثم أضاف مجموعة من الشعراء يشبهون سليك بن السلكة، حيث قال الأصمعي: ومثله ابن بركة الهمداني، ومثله حازر الشمالي من السرويين، وتأبط شراً، والشنفري الأزدي، السروي، والأعلم الهذلي، والمنتشر ليس منهم. ونجد الأصمعي هنا قد جعل هؤلاء - ما عدا المنتشر - بأنهم يشبهون الشاعر سليك بن السلكة، في تقويمه النقدي له. وقال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الشعراء ألسناً وأعرجهم أهل السراوات، وهن ثلاث، وهي الجبال المطلة على تامة ما يلي اليمن، فأولها هذيل، وهي تلي الرمل من تامة. ثم عليّة السراة الوسطى، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم سراة الأزدي، أزد شنوءة، وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد⁽¹⁾.

5. الميزان الشرطي: آراء نقدية تتصل بالفحول على سبيل الشرط: والأصمعي في هذه المجموعة جعل أسلوب الشرط هو الحكم في ميزانه النقدي على هؤلاء، وهذه المجموعة تشكلت من مجموعتين:

1.5 الشرط لتحقيق الفحولة (المعيار الشرطي الأول):

1.1.5 المهلهل: "ليس بفحل"، ولو قال مثل قوله: "أليتنا بذي جشم أنيري"؛ لكان أفحلهم⁽²⁾. هو عدي بن ربيعة، أخو كليب وائل، سمي مهلهلاً؛ لأنه هلهل الشعر، أي: أرقه، وهو خال امرئ القيس⁽³⁾. وقال ابن سلام: "سمي مهلهلاً لهله شعره كهلهلة الثوب، وهو اضطرابه واختلافه"⁽⁴⁾ فبعد أن حكم الأصمعي على المهلهل بأنه ليس فحلاً، أضاف شرطاً للفحولة بأنه لو قال مثل قوله: أليتنا.. لكان أفحلهم، أي لاستحق مقياس الفحولة، بل وأفحل من غيره، ولا أدري من يعني بالضمير المتصل بـ (أفحلهم)، فلعله قصد عروة بن الورد والحويدرة اللذين ذكرا قبل المهلهل، ولا أعتقد أنه قصد عامة الشعراء؛ لأن السياق والمنطق النقدي عند الأصمعي لا يؤيدان ذلك.

2.1.5 ثعلبة بن صُعير المازني: "لو قال مثل قصيدته خمساً كان فحلاً"⁽⁵⁾، نجد الأصمعي في ميزانه الشرطي هذا، يضع مقياساً لفحولة "ثعلبة" بأنه لو قال مثل قصيدته، ولا نعرف ما هي هذه القصيدة، وهل قصد بها قصيدة مالك بن حريم، الشاعر الفحل الذي ذكر قبله؟ أم غير ذلك؟ فلو قال خمس قصائد مثلها لكان ثعلبة فحلاً في ميزان الأصمعي النقدي، فالأمر هنا مشروط بتحقيق القصائد الخمس، فيما لو قالها.

3.1.5 الحويدرة: "لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلاً"⁽⁶⁾، هو الحويدرة الديباني، واسمه "قطبة بن أوس بن جرو، وهو من شعراء الطبقة التاسعة من طبقات شعراء الجاهلية"⁽⁷⁾. والأصمعي هنا حكم على الحويدرة بالطريقة ذاتها التي حكم حكم بها على ثعلبة، وهي الطريقة الشرطية.

4.1.5 معقر البارقي (حليف بني نمير): "لو أتم خمساً أو ستاً كان فحلاً"⁽⁸⁾، الأصمعي هنا لم يوضح في مقياسه الشرطي ماذا قصد من قوله: لو أتم خمساً أو ستاً، فهل هي قصائد أم أبيات شعر، أم ماذا؟ وإن كانت قصائد فما نوعها؟ وما

(1) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج2، ص:483..

(2) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص:12.

(3) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص:58.

(4) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص:55.

(5) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص:12.

(6) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص:12.

(7) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص:95.

(8) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص:14.

غرضها؟ وما مقياس الجودة فيها؟ ومع ذلك نجدد يقرر أن الشاعر لو أكمل هذا العدد لكان فحلاً، ولانطبق عليه مقياس الفحولة.

5.1.5 أوس بن غلفاء الهجيمي: "لو قال عشرين قصيدة لحق بالفحول، ولكنه قُطِعَ به"⁽¹⁾. لم يبن الأصمعي نوع القصائد التي لو قال مثلها أوس بن غلفاء عشرين قصيدة للحق بالفحول، وقوله: "ولكنه قُطِعَ به"، فيها إشارة إلى أنه لم يقلها، وبالتالي لم يلحق بالفحول التي هي ضمن ميزان الأصمعي.

6.1.5 سلامة بن جندل: "لو كان زاد شيئاً كان فحلاً"⁽²⁾، هو جاهلي قلم من فرسان تميم المعدودين، وأحد نعات الخيل، وأجود شعره قصيدته التي أولها⁽³⁾:

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب أودى وذلك شأؤ غير مطلوب

ومنها: تقول ابنتي إن انطلاقك واحداً إلى الروع يوماً تاركي لا أباليا

وجعله الحمحي الأول في الطبقة السابعة من الشعراء الجاهليين، وقال عنهم: "أربعة رهط محكمون، في أشعارهم قلة"⁽⁴⁾. قلة⁽⁴⁾. إن شرط الأصمعي بأن "سلامة بن جندل" لو زاد شيئاً في شعره لكان فحلاً، يجد له تأييداً عند ابن سلام، من حيث قلة شعره، وهو مع ذلك، فالدلائل تشير إلى جودة شعره، خاصة ما كان في نعت الخيل.

2.5 لو كانوا في الجاهلية (المعيار الشرطي الثاني):

1.2.5 جرير: قال الأصمعي عنه وعن زميله (الفردق والأخطل): "لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن، ولا أقول فيهم شيئاً؛ لأنهم إسلاميون"⁽⁵⁾. وذكر ابن قتيبة بأنه هو "جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي"، من بني كليب بن يربوع، ويكنى بأبي حرة، عاش نيفاً على ثمانين سنة، له عشرة من الولد، من فحول شعراء الإسلام، يشبه من شعراء الجاهلية بالأعشى، من أشد الناس هجاء، أعطاه عبد الملك مئة من الإبل مع الرعاء، عن قصيدته: ⁽⁶⁾

أستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح

وروى ابن سلام عن بشار العقيلي قوله: "كان جرير يحسن ضرباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق، وفضل جريراً عليه"، وروي قول للفرزدق: "إني وإياه لنغترف من بحر واحد، وتضطرب دلاؤه عند طول النهر". وقال الأسيدي: "بيوت الشعر أربعة: فخر ومديح ونسيب وهجاء، وفي كلها غلب جرير"، وقيل: "جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر، فقال الأخطل:

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحولة الشعراء، ص: 15.

(2) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحولة الشعراء، ص: 15.

(3) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 50.

(4) الحمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 88.

(5) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحولة الشعراء، ص: 13-14.

(6) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 108-111.

فجرير أشعرهما⁽¹⁾، وقال مروان بن أبي حفصة: "من نظر في نقائص جرير والفزدق، علم أن جريراً لم يقم على الفزدق"⁽²⁾، وفي محاوره بين نوح بن جرير ووالده، كشفت عن اعتراف جرير بفضل الفزدق والأخطل، وعندما سأله ابنه عن نفسه قال: "أنا مدينة العلم"⁽³⁾، ويذكر ابن رشيقي في عمدته بيت جرير من قصيدة له منها:

ففض الطرف إنك من نمر فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وأثر هذا البيت على قبيلة نمر، وكيف أخزاهم الله به إلى آخر الدهر، ولم يرفعوا بعده رؤوسهم، وقد سميت هذه القصيدة "الفاضحة"، وسمّاها جرير "الدماغه"، حتى أن بني نمر انتسبت بالبصرة إلى عامر بن صعصعة، وتخلت عن نمر⁽⁴⁾. وضمن هذا المقياس الشرطي في ميزان الأصمعي النقدي، أجد تفضيل القدم على الحديث، وبأن كل من ليس بجاهلي لا قيمة لشعره ولو أجاد، وأما الآخرون فأجد ابن قتيبة يعده من فحول شعراء الإسلام، وغيره يثني عليه ويرفع من مرتبته، وإن كان ابن قتيبة أكثرهم جرأة - وربما صدقاً - في حكمه النقدي.

2.2.5 الفزدق: كان الأصمعي يفضل جريراً على الفزدق⁽⁵⁾. ويقول: تسعة أعشار شعر الفزدق سرقة، أما جرير فله ثلاثون قصيدة، ما علمته سرق شيئاً قط إلا نصف بيت⁽⁶⁾، وهو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال، جده صعصعة عظيم القدر في الجاهلية⁽⁷⁾، جعله ابن سلام مع صاحبيه جرير والأخطل في طبقة واحدة، هي الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين، وروي فيه أقوال منها: "نبعة الشعر الفزدق"، "الفزدق أشعر عامة، وجرير أشعر خاصة"، "وكان الفزدق أكثرهم بيتاً مُقلداً، والمقلد البيت المستغني بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل"⁽⁸⁾. وروى المرزباني عن أحمد بن عمار قوله: كان الفزدق وهو وهو فحل شعراء الإسلام يأتي بالإحالة، وينظم في شعره أهجن كلام، وقالت النوار زوجة الفزدق: هو والله أشعر منك، غلبك على حلوه، وشركك في مره، وذكر المرزباني أيضاً عن اتهام الأصمعي للفزدق بالسرقة: "وهذا تحامل شديد من الأصمعي، وتقول على الفزدق بمجائه باهلة، أما أن نطلق أن تسعة أعشار شعره سرقة، فهذا محال"⁽⁹⁾. وقيل: الفزدق أشعر من جرير؛ لأنه أقواهما أسر كلام، وأجراهما في أساليب الشعر، وأقدرهما على تطويل وأحسنهما قطعاً⁽¹⁰⁾. من ذلك، أجد أن الأصمعي حكم بالتفوق لجرير على الفزدق، متهماً الفزدق بالسرقة، ومحاولة تبرئة جرير منها، وأما النقاد الآخرون فحاولوا أن يوازنوا بين الاثنين، وإن رفع الجمحي من مكانة الفزدق أحياناً، وكذلك فعل المرزباني مضيفاً تبرئة الفزدق من اتهام الأصمعي له بالسرقة، وكذلك فعل صاحب العمدة، كما فعل الآخرون من جعل الفزدق يتفوق على جرير في بعض المواقف.

(1) انظر: الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 158-184.

(2) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 153.

(3) نفسه، ص: 162.

(4) القيرواني، الحسن بن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، ص: 43.

(5) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 13.

(6) نفسه، ص: 19.

(7) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 111.

(8) انظر: الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 147-156.

(9) انظر: المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 133-136.

(10) القيرواني، الحسن بن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، ص: 156.

3.2.5 الأخطل: "لو أدرك الأخطل من الجاهلية يوماً واحداً ما قدمت عليه جاهلياً ولا إسلامياً"⁽¹⁾، هو أبو مالك غياث بن غوث من بني تغلب، والأخطل فإنه يجيء أبداً سابقاً، وأما الفرزدق فإنه يجيء مرة سابقاً ومرة ثانياً، وأما جرير فإنه يجيء مرة سابقاً، ومرة ثانياً، ومرة سكتياً، (أي عاشراً آخر الخيل في السباق)، وكان الأخطل يشبه من شعراء الجاهلية بالنابعة الذبياني⁽²⁾، وجعله الجمحي الثالث في شعراء الطبقة الأولى من الإسلاميين، والأخطل يجيد نعت الملوك، ويصيب صفة الخمر، وله وله من المقلدات كقوله:⁽³⁾

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

وروى المزياني قول بشار بن برد: "والله ما كان الأخطل مثل جرير والفرزدق"، وروى عن جرير قوله: "إنه والله ما يهجوني الأخطل وحده، وإنه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلهم غزير ليس بدون الأخطل، وذلك أنه إذا أراد هجائي جمعهم على شراب، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً، حتى يتموا القصيدة، وينتحلها الأخطل"⁽⁴⁾، وقال ابن رشيق القيرواني عنه: "ومن الفحول المتأخرين الأخطل"⁽⁵⁾. وروى ابن شرف القيرواني عنه بأنه: "سعد من سعود بني مروان، صفت لهم مرآة فكره، وظفروا بالبديع من شعره، وكان باقعة (أي: داهية) من حاجاه، وصاعقة من هاجاه"⁽⁶⁾. وبعد هذا العرض أجد أن الأصمعي قد حكم عليه وفق مقولة القدم والحدائث، وتفضيل القدم على الحديث؛ لأنه كان لا يعترف بأي أفضلية للشعراء المحدثين، ولو أجادوا، ولذا اشترط أنه لو أدرك من الجاهلية يوماً واحداً ما قدم عليه أحداً، وهو هنا يعترف ضمناً بأفضليته وتقدمه وجودة شعره، ولكن معيار الأقدمية هو الفيصل عنده، أما النقاد الآخرون، فأجد ابن قتيبة يفضل على الفرزدق وجرير، وهو عند الجمحي يجيد نعت الملوك والخمر، والمزياني لا يقدمه عليهما، وابن رشيق يجعله من الفحول المتأخرين، وابن شرف القيرواني بمدحه مدحاً عاماً، وبذلك يتفاوت النقاد في درجة تفضيل الأخطل، ولا يعطوه حكماً نقدياً يجمعون عليه، وربما هذا التفاوت وجد عند سابقيه الفرزدق والأخطل، وإن كان الأصمعي - كما رأينا - يصدر حكماً عاماً عليهم بأنه لا يقول فيهم شيئاً؛ لأنه إسلاميون، وحكماً خاصاً على كل منهم مفضلاً جريراً على الفرزدق، ومثباً على الأخطل دون أن يظهر تقدمه على أحد، ولعل هذا الحكم النقدي الخاص بالقدم والحدائث، والذي أقره الأصمعي في ميزانه النقدي في كتابه فحولة الشعراء لا أجد أحداً من النقاد الذين تعرضت لهم من يأخذ به أو يعلن عنه. مع العلم، بأن شعراء القرن الأول الهجري المشهورين (الفرزدق وجريراً والأخطل)، واصلوا اتباع التقاليد الفنية التي كان شعراء الجاهلية يتبعونها، واستخدموا أساليبهم الفنية المعتادة، وتناولوا الموضوعات التي كانوا يتناولونها في أشعارهم وبصياغة أفضل⁽⁷⁾.

6. قد يكون من الفحول: كشف الأصمعي في ميزان فحولته النقدي عن مجموعة لم يقطع بأنها من الفحول، أو ليسوا من الفحول، بل تركتهم في دائرة الشك والظن، دون أن يضع لهم مقياساً نقدياً يأخذ بهم نحو ناحية نقدية واضحة، وهم:

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 13.

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 114-115.

(3) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 147، 192، 194.

(4) المزياني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 171، 174.

(5) القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 1، ص: 37.

(6) القيرواني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ص: 28.

(7) القط، عبد القادر، مفهوم الشعر عند العرب، ص: 65.

1.6 كعب بن جعيل: "أظنه من الفحول ولا أستيقنه"⁽¹⁾، وهو رأس الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين عند الجمحي، وهو "شاعر مفلق قلسم في أول الإسلام"⁽²⁾. لقد جعله الأصمعي في زاوية الظن وعدم التيقن، من أن يدخله في الفحولة ويكون فحلاً، ولعل قول ابن سلام فيه يرفع من قيمته وشاعريته، ويرجح دخوله دائرة الفحولة التي أبقاها الأصمعي في دائرة الظن والشك.

2.6 الأسود بن يُعْفَر النهشلي: "يشبه الفحول"⁽³⁾. جعله الجمحي في المرتبة الثانية من الطبقة الجاهلية، وقال عنه: "كان الأسود شاعراً فحلاً... وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأول الشعر، لو كان شفيعاً بمثلها قدمناه على أهل مرتبته، وهي: نام الخلي فما أحس رقادي والهَمّ محتضر لدي وسادي

وله شعر كثير جيد كهذه"⁽⁴⁾. ويجيء كلام الجمحي داعماً لمقياس الفحولة الذي وضعه الأصمعي، وإن لم يكن متأكداً من فحولة فحولة شاعرنا الأسود بن يعفر. ولكن الجمحي يصرح بفحولته، ويزيد بأن له شعراً كثيراً كقصيدته التي ذكرت، وأضاف وصفاً بجودة هذا الشعر، وربما لو سمع الأصمعي رأي ابن سلام فيه لما تردد في أن يصرح بفحولة الأسود بن يعفر، وما ذكره ابن الأشراف القيرواني يدعم هذا الرأي ويرجح، وذلك أنه قال عنه بأنه: "أشعر الناس إذا ندب دولة زالت، أو بكى حالة حالت، أو وصف رعباً خلا بعد عمران، أو داراً درست بعد سكان"⁽⁵⁾.

3.6 جرادة بن عُمَيْلَة العنزي: "له أشعار تشبه أشعار الفحول، وهي قصار"⁽⁶⁾، يبدو أن الأصمعي كذلك لم يحسم أمر هذا الشاعر بالتصريح له بالدخول إلى صف الشعراء الفحول، فمقياسه يقول بأن أشعاره تشبه أشعار الفحول، ثم يضيف بأن هذه الأشعار هي من القصار.

وإذا ما تصفحنا كتاب "فحولة الشعراء" للأصمعي، فإننا نعثر على مقاييس نقدية أخرى أثبتتها الأصمعي في ميزانه النقدي، الذي حاول أن يزن الشعراء به، وهي مقاييس لا علاقة لها بالفحول، بل هي أحكام نقدية أخرى. وقد قسمتها إلى مجموعات ينصوي كل منها تحت مقياس نقدي واحد أو متشابه، ومنها:

ثانياً: مقاييس لا علاقة لها بالفحولة:

1. الشعر والفروسية: الأصمعي في ميزانه النقدي لهذه المجموعة حصره في الفرسان، حيث قال: "فرسان قيس وشعراؤهم الفرسان"⁽⁷⁾، وهذا هو مقياسه لهذه المجموعة:

1.1 خفاف بن ندبة: "أشعر الفرسان"، ولم يقل إنه من الفحول⁽⁸⁾، وهو خفاف بن عمير بن الشريد، ابن عم الخنساء، وأحد أغربة العرب⁽¹⁾، وما ذكره ابن قتيبة لا أثر له في حكم الأصمعي على الشعر خفاف، ومقياس الأصمعي النقدي

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 12.

(2) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 212.

(3) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 14.

(4) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 81، 83.

(5) القيرواني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ص: 27.

(6) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 15.

(7) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 18.

(8) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 14، 18.

هنا يظهر أن خفافاً من الفرسان، وبأنه أشعرهم؛ ولذا فالمقارنة هنا حصرها الأصمعي في الفروسية والشعر، أما قول "ولم يقل إنه من الفحول"، لعلها من إضافات الرواة، وخاصة الراوي أبو حاتم السجستاني، أو ابن دريد.

2.1 عنتره: "أشعر الفرسان"، ولم يقل إنه من الفحول⁽²⁾، هو عنتره بن شداد العبسي، أحد أغربة القوم، وأشد أهل زمانه وأجودهم، وأجود شعره قوله: (هل غادر الشعراء من متردم)، وكانت العرب تسميها الذهبية⁽³⁾، وهو ثالث الطبقة السادسة من شعراء الجاهلية عند ابن سلام، وله قصيدته:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

وله شعر كثير، إلا أن هذه نادرة فألحقوها مع أصحاب الواحدة⁽⁴⁾. وقال ابن شرف القيرواني عنه بأنه: "مجيد في أشعاره، ولا كملعته فقد انفرد بها انفراد سهيل، وغبر في وجوه الخيل، وجمع بين الحلاوة والجزالة، ورقة الغزل وغلظة البسالة"⁽⁵⁾. شهر عنتره بالفروسية، وبذهبيته (يا دار عبلة)، ومدحها ابن قتيبة وابن سلام، وابن شرف، وأضاف ابن شرف في ثنائيه، بأنه مجيد في أشعاره، ولعل كل ذلك يصدق فيه قول الأصمعي بأنه أشعر الفرسان، كحكم نقدي، جعله الأصمعي ضمن ميزانه ومقاييسه النقدية التي حكم بها على عنتره ومن هم في مثله.

3.1 الزبرقان بن بدر: "أشعر الفرسان"، "الزبرقان فارس شاعر غير مطيل"، ولم يقل إنه من الفحول⁽⁶⁾، وهو حصين بن بدر بن امرئ القيس، سمي بالزبرقان لجماله، والزبرقان هو البدر، سئل ربيعة بن حذار الأسدي عن شعره فقال للزبرقان: "أما أنت فشعرك كلحم أسخن، لا هو أنضج فأكل، ولا ترك نيتاً فينتفع به"⁽⁷⁾، وزاد ابن رشيق بأنه من المغلبين، غلبه عمرو بن الأهمم والمخبل السعدي والحطيئة، فأجاب الاثنين، ولم يجب الحطيئة؛ لأنه لم يره مكاناً للجواب⁽⁸⁾، وما ذكره المرزباني والقيرواني عن شعر الزبرقان لا يرفع من مكانته الشعرية، ويبقى حكم الأصمعي النقدي عليه أفضل من غيره، فهو فارس وشاعر، بل وأشعر الفرسان، وإن كان غير مطيل في قصائده.

4.1 عباس بن مرداس السلمي: "أشعر الفرسان"، ولم يقل إنه من الفحول⁽⁹⁾، وذكر في حاشية الموشح بأنه شاعر فارس من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة، توفي نحو 18هـ⁽¹⁰⁾. لم يكذب المرزباني شيئاً على ما ذكره الأصمعي يغير من حكمه النقدي على الشاعر.

5.1 دريد بن الصمة: "أشعر الفرسان"⁽¹¹⁾.

(1) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 72.

(2) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 14، 18.

(3) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 42.

(4) القيرواني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ص: 24.

(5) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 85، 86.

(6) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 14، 18.

(7) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 93.

(8) القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص: 93.

(9) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 18.

(10) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 101.

(11) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 18.

6.1 عميرة بن طارق اليربوعي: "هو من رؤوس الفرسان، هو الذي أسر قابوس بن المنذر"⁽¹⁾، والأصمعي في حكمه هنا تطرق إلى فروسيته دون أن ينظر إلى شعره وشاعريته، ولذا بقي الحكم في هذه الدائرة فقط.

7.1 زيد الخيل الطائي: "من الفرسان"⁽²⁾، هو زيد الخيل بن مهلهل من طيء، أدرك الإسلام وسماه النبي ﷺ زيد الخير⁽³⁾، وأجد كلا الناقدين لم يتحدث عن شاعرية زيد الخيل بشيء، ولم يحكم عليه بحكم نقدي، أو أي تصنيف نقدي غير قول الأصمعي "من الفرسان" وكفى.

8.1 مالك بن نويرة: "شاعر فارس مطيل"⁽⁴⁾ هي ثلاث صفات ذكرها الأصمعي لمالك بن نويرة، فهو شاعر، وفارس، ومطيل، وكلها صفات إيجابية تعد لصالح مالك، ضمن معيار الأصمعي النقدي، الذي حصره بالفروسية والشعر.

2. الجودة: إن "الحكم بالجودة والرداءة هو صياغة المعنى أو صورته"⁽⁵⁾، "فجودة الشعر" لا تتحدد بما يقال، بل بالكيفية التي يقال فيها، وإذن فالشاعر لا يحاسب على اعتقاده، وإنما يحاسب الشاعر على الصورة التي أبرز بها هذا الاعتقاد، وإن "معيار الحكم على الشاعر بالجودة يتحدد بالكيفية التي عبر بها الشاعر عن وجدته، لا يصدقه في نقل ذلك الوجد"⁽⁶⁾. وأضيف هنا قول ابن قدامة، إذا "اجتمعت في الشعر الأوصاف المحمودة كلها، وخلا من الخلال المذمومة بأسرها، يسمى شعراً في غاية الجودة، وما يوجد بضد هذا الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة، وما يجتمع فيه من الحالين أسباب يُنزل له اسم بحسب قرينه من الجيد، أو من الرديء، أو فوقه في الوسط الذي يقال له لما كان فيه: صالح، أو متوسط، أو لا جيد ولا رديء"⁽⁷⁾. ونذكر هنا ابن سلام الذي نظر "للكم كمقياس صنف شعراء وفقه، بتأثير من الجو العام الذي كان يفضل الشاعر المكثّر على المقل، وهو متأثر في هذه الناحية بالأصمعي، الذي استثنى كثيراً من الشعراء من طبقة الفحول؛ لأن الفحولة تعني عنده الكثرة مع الجودة"⁽⁸⁾. وأجد هنا أن الأصمعي يلجأ إلى معيار جديد في ميزانه النقدي، فيجعل الجودة "هي معياره الذي يقيس عليه الشعراء، وإن كنت أجد أنه قد حصره في شاعر واحد هو:

1.2 امرؤ القيس: "أولهم كلهم في الجودة، له الخطوة والسبق، كلهم أخذوا من قوله، واتبعوا مذهبه، وما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس"⁽⁹⁾

وقاهم جدّهم بني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب

انظر 5.2.1 في هذا البحث

- (1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 15.
- (2) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 15.
- (3) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 55.
- (4) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 19.
- (5) عصفور، جابر، (1978)، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ص: 126.
- (6) نفسه، ص: 127.
- (7) ابن جعفر، قدامة، (1978)، نقد الشعر، ص: 19.
- (8) المجالي، جهاد شاهر، مفهوم الطبقات في النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 101.
- (9) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 9.

وقوله: "إن كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه"⁽¹⁾، وقوله: "وهو أول من بكى الديار وسير الظعن، وقوله: فإنما تعلموا تعلموا من رأس الشعراء امرئ القيس"⁽²⁾ هو رأس الطبقة الأولى في الشعر الجاهلي، وعلماء البصرة كانوا يقدمونه، وجعله ليبد أشعر أشعر الناس، وقد سبق العرب في استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقيد الأوابد، وأحسن طبقته تشبيهاً⁽³⁾. وهو وهو رأس شعراء كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة، قال عندما علم بمقتل أبيه: "ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً... اليوم خمر وغداً أمر"⁽⁴⁾، وللمرزياني في موشحه كلام طويل عن امرئ القيس⁽⁵⁾. وهو من أصحاب المعلقات، ومن أشعر العرب، وأشعر شعراء الجاهلية⁽⁶⁾، وهو الصليل مؤسس الأساس، وحامل لواء شعراء الجاهلية⁽⁷⁾.

من خلال هذه الأحكام النقدية الذوقية أجد امرأ القيس أكثر شاعر تحدث عنه الأصمعي في كتابه فحول الشعر، وأكثر شاعر نال عنده من الصفات النقدية والشعرية، كما أنه أكثر شاعر تحدث عنه النقاد وأطلقوا عليه الأحكام النقدية، وتحدثوا عن شعره وشاعريته ومكانته الشعرية، ومع كل ذلك لم نجد الأصمعي يخلع عليه ثوب الفحولة في ميزانه النقدي في كتابه "فحول الشعراء"، فهل قوله: "أولهم كلهم في الجودة"، و"له الخطوة والسبق"؟ وغير ذلك هو عنده أعلى من درجة الفحولة؟ فأنا لا أرى ذلك، فلو أرادها لصرح بها، خاصة وأنه كان يتكلم عنه في معرض حديثه عن النابغة الذبياني، الذي عده أول الفحول، وعن طفيل وهو فحل، ولكن ما نسب السيوطي للأصمعي قوله: "كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس، فهو عن حماد الراوية، إلا شيئاً سمعناه من أبي عمرو بن العلاء"⁽⁸⁾، حيث حاول الأصمعي في قوله هذا أن يديني من مكانة شعر امرئ القيس، وذلك لما عرف عن حماد الراوية بنحله للشعر، ولعل قول الأصمعي: "ويقال إن كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه"⁽⁹⁾، يظهر أن رواة الأعراب كانت لهم الخبرة والدراية في كشف السرقات، ولقد ساهموا إلى حد كبير في تعديل نسبة كثير من الشعر، سواء أكان منها منسوباً لشعراء مشهورين، أم مغموين، ولولا هؤلاء الأعراب لما درى الأصمعي أن شعر امرئ القيس ليس كله خالصاً له، بل لصعاليك كانوا معه⁽¹⁰⁾.

3. الحسن والتجوير: التجوير هو التحسين، يقال: حبر خطه أو شعره، أي حسنه وجوده، وقد لوحظ هذا التحسين في الشعر عند بعض شعراء الجاهلية⁽¹¹⁾، والتجوير في الشعر يعني قدرته على إبهاج حسن السمع بما ينطوي عليه من جرّس وتساقق وتناغم، وإن كان يخلو من كبير معنى⁽¹²⁾، وهذا المقياس النقدي هو مقياس مركب من الحسن والتجوير في ميزان الأصمعي النقدي، والأصمعي لم يجعله إلا لشاعر واحد في كتابه "فحول الشعراء"، وهو:

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحول الشعراء، ص: 10.

(2) نفسه، ص: 18.

(3) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 59-61.

(4) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 16.

(5) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 153.

(6) انظر: القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، ص: 37-51.

(7) القيرواني، ابن شرف، (1983)، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ط 1، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ص: 23.

(8) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص: 406.

(9) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحول الشعراء، ص: 10.

(10) المجالي، جهاد شاهر، مفهوم الطبقات في النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص: 138.

(11) العاكوب، عيسى علي، التفكير النقدي عند العرب، ص: 34.

(12) نفسه، ص: 34-35.

1.3 طفيل الغنوي: يسمى في الجاهلية مخبراً لحسن شعره، في بعض شعره أشعر من امرئ القيس، طفيل يحسن صفة الخيل، غاية في النعت، وهو جيد الصفة للخيل جداً⁽¹⁾ (انظر: 6.2) في هذا البحث. وأضيف أن الأصمعي جعل لهذا الشاعر مقياساً مركباً من حسن الشعر وتجيده مع الفحولة الشعرية التي خلعتها عليه سابقاً، وجعلها وساماً له.

4. ثَبَّتْ وفصيح (أو إحداها):

1.4 ابن هرمة: "ثَبَّتْ فصيح"⁽²⁾، "وكان ابن هرمة ساقية الشعراء"⁽³⁾، وورد في هامش الموشح بأنه: إبراهيم بن علي ابن ابن هرمة القرشي، شاعر غزل من سكان المدينة، مخضرم الدولتين الأموية والعباسية، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم، قال الأصمعي: ختم الشعر بابن هرمة، توفي سنة 176هـ⁽⁴⁾، ويصدر الأصمعي في ميزانه النقدي في كتابه "فحولة الشعراء" مقياساً نقدياً ذوقياً جديداً، وهو "ثَبَّتْ فصيح" والثبت في اللغة هو الحجة⁽⁵⁾. وقد جمع الأصمعي في مقياسه النقدي هذا بين (الثبت والفصاحة)، وجعل ابن هرمة أول من اتصف بمهما، ولا نجد من النقاد من يقدم ابن هرمة، أو يجعل له مقياساً نقدياً غير الأصمعي.

2.4 طفيل الكنانى: "مثل ابن هرمة"⁽⁶⁾، وقد اكتفى الأصمعي بقوله: مثل ابن هرمة، أي يأخذ المقياس النقدي نفسه.

3.4 ابن أذينة: "ثبت في طبقة ابن هرمة، وهو دونه في الشعر"⁽⁷⁾، وهو عروة بن أذينة من بني ليث، وكان شريفاً ثباتاً يحمل عنه الحديث⁽⁸⁾، وقد اكتفى الأصمعي بذكر حكمه (ثبت)، وأضاف عليها، في طبقة ابن هرمة، وهو دونه في الشعر، ودون ودون أن يصفه بأنه فصيح، وإن جعله في طبقة ابن هرمة، وإن كنا نجد عند ابن قتيبة بأنه شريف ثبت يحمل عنه الحديث، وليس الشعر.

4.4 عبد بني الحسحاس: "هو فصيح، وهو زنجي أسود"⁽⁹⁾، "هو سحيم، وكان عبداً حبشياً"⁽¹⁰⁾. وهو في الطبقة التاسعة من الشعراء الجاهليين، و"هو حلو الشعر، رقيق حواشي الكلام"⁽¹¹⁾. وأجد هنا أن مقياس الأصمعي قد ركز على صفة واحدة، وهي أنه فصيح، وأضاف أخرى لا علاقة لها بالشعر، فقال: بأنه زنجي أسود، وهي خاصة باللون، فلماذا جمع الأصمعي بين الفصاحة واللون الأسود؟ وربما تكرر ذكر اللون الأسود أو الإشارة إليه بالزنجي، أو الحبشي، أو غيرهما، وكأخما من العيوب التي يعاب عليها الشاعر عند الأصمعي، وكذلك فعل ابن قتيبة، ولعل الجمحي حاول أن يرفع من مكانته الشعرية دون أن يتطرق إلى الصفة اللونية.

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 10.

(2) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 16.

(3) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 175.

(4) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 261.

(5) (إبراهيم وزملاؤه)، (د.ت)، مادة: ثَبَّتْ. .

(6) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 17.

(7) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 16.

(8) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 138.

(9) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 16.

(10) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 92.

(11) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 99.

5.4 أبو دلامة: "عبد، رأيته، مولد حبشي، وهو صالح الفصاحة"⁽¹⁾، وذكر ابن قتيبة بأن السفاح كان يستحسن شعره⁽²⁾، وهو كوفي أسود، مولى لبني أسد، نبغ في أيام بني العباس، ولم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل إلى أبي دلامة من المنصور خاصة، فقد أعطاه على قصيدة عشرة آلاف درهم⁽³⁾، وأجد هنا أن الأصمعي قد قدم على حكمه النقدي حديثه عن أبي دلامة بأنه عبد، وأنه قد رآه بنفسه، وأنه مولد حبشي، أي أنه عبد، ومولد، وحبشي، ثم بعد ذلك نطق بحكمه النقدي الدوقي العام بأنه صالح الفصاحة، دون أن يفسر ذلك.

6.4 أبو عطاء السندي: "عبد أخرج مشقوق الأذن، لم يكن في الأعراب، لكنه فصيح"⁽⁴⁾، واسمه مرزوق، "وكان جيد الشعر، وكانت به لكنة"⁽⁵⁾. الأخرى في اللغة هو مشقوق الأذن⁽⁶⁾. لقد قدم الأصمعي لحكمه النقدي بحديثه عن صفاته الجسمية، بأنه عبد أخرج، مشقوق الأذن، لم يكن في الأعراب، ثم استدرك بأنه فصيح، دون أن يبين نوع الفصاحة وعلاقتها بالشعر، ومع ذلك أجد ابن قتيبة قد حاول أن يرفع من مكانته الشعرية عند قوله بأنه جيد الشعر، وإن أضاف صفة خلقية نطقية بأن به لكنة. ومما تقدم أجد الأصمعي قد ركز في ميزانه النقدي لهذه المجموعة على طبقة العبيد السود، وبأنه يكاد يكون قد جمعهم في هذه المجموعة أو الطبقة، وصرح عن صفاتهم الجسمية على سبيل التقليل من مكانتهم الشعرية، وقيمتهم بين الشعراء. ودون أن يصرح بأحكام نقدية واضحة عنهم، وإن كانت ذوقية غير معقدة.

5. حجة: والحجة في اللغة تعادل كلمة الثبّت⁽⁷⁾:

1.5 زياد الأعجم: "حجة، لم يتعلق عليه بلحن"⁽⁸⁾، هو زياد بن سلمى ابن عبد القيس، فيه لكنة⁽⁹⁾ قال للفرزدق عندما أراد هجاء عبد القيس:

فإنما وما تهدي لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما تُلُق في البحر يغرق

فلما بلغت الأبيات الفرزدق كف عما أراد، وقال: لا سبيل إلى هجاء هؤلاء ما عاش العبد⁽¹⁰⁾، وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة من الشعراء الإسلاميين⁽¹¹⁾، ومقياس الأصمعي النقدي في زياد الأعجم بأنه حجة، وكلمة حجة تشابه ثبت، وفي كليهما يبين الأصمعي عن مكانة الشاعر الشعرية، ولكنه لا يصل إلى درجة الفحولة حسب مقياسه.

2.5 عمر بن أبي ربيعة: "مولد، وهو حجة، سمعت أبا عمرو بن العلاء يحتج في النحو بشعره، ويقول هو حجة"⁽¹⁾، كان فاسقاً يتعرض للنساء الحواج ويتشبه بهن⁽²⁾، وقد "أسقط ابن سلام من حسابه - لسبب لا نعرفه - الكثير من الغزليين وعلى

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 17.

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 180.

(3) (الأصفهاني، ج 10، 1997، ص: 407).

(4) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 16.

(5) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 179.

(6) (إبراهيم وزملاؤه)، (د.ت)، مادة: حرج.

(7) (إبراهيم وزملاؤه)، (د.ت)، مادة: حجج.

(8) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 16.

(9) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 99.

(10) الفيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، ص: 56.

(11) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 231.

وعلى رأسهم عمر بن أبي ربيعة الذي لم يذكره أصلاً⁽³⁾، "وقد أخذ صلة الرشيد وغيره على حسن التغزل ولطف المقاصد في التشبيب بالنساء"⁽⁴⁾، قال أبو عمرو بن العلاء كان حجة في العربية⁽⁵⁾. من ذلك أجد أن الأصمعي أطلق عليه صفة المولد قبل أن يقول عنه بأنه حجة، والمولد في المعجم: الشعراء المحدثون، أو العربي غير المحض⁽⁶⁾. ولعلنا لا نستغرب إذا وجدنا أن الجاحظ قد تعصب للعرب على المولدين، فعنده إن عامة العرب في مجموعهم أشعر من عامة الشعراء المولدين في مجموعهم⁽⁷⁾.

يبدو أن ذكر الأصمعي لمثل هذه الصفات عند إصدار حكمه النقدي، يريد منها أن يظهر الشاعر على حقيقته، أو ربما لا يريد أن يعطيه أكثر من حقه، أو لعله يريد أن يقلل من قيمته الشعرية كونه مولداً، ولكن إضافة الأصمعي لما سمعه من أبي عمرو بن العلاء بأنه يحتج بشعره في النحو، ويقول هو حجة، وما أكدته الآخرون بأنه حجة في العربية، يظهر أن ابن أبي ربيعة كان له القيمة الشعرية العالية، والمكانة المرموقة بين الشعراء، وإن خص شعره بالغزل، ويؤكد ذلك ما أورده الأصفهاني قال: "كانت العرب تقرر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر، فإنها كانت لا تقر لها به، حتى كان عمر بن أبي ربيعة، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها بشيء"⁽⁸⁾.

3.5 فضالة بن شريك الأسدي و عبد الله بن الزبير الأسدي، وابن الرقيات، هؤلاء مولدون، وشعرهم حجة". الشاعر ابن الرقيات هو عبد الله بن قيس بن الرقيات، وسمي بالرقيات؛ لأنه كان يشب بثلاث نسوة يقال لهن كلهن رقية⁽⁹⁾، وجعله ابن سلام رأس الطبقة السادسة من الشعراء الإسلاميين، وذكره مرة بعبيد الله، وأخرى بعبد الله، وعزا تسميته بالرقيات؛ لأن جذات له توالين يسمين رقية، وكان أشد قريش أسر شعر في الإسلام بعد ابن الزبيري، وكان غزلاً، يشب ولا يصح⁽¹⁰⁾، وروى المرزباني عن المازني قال: سمعت الأصمعي يقول: ابن قيس الرقيات ليس بحجة⁽¹¹⁾. وذكره الأصفهاني باسم عبید الله (وهو الأشهر) وقال عنه يونس: "ليس بفصيح ولا ثقة"، شغل نفسه بالشرب⁽¹²⁾. إن الحكم الذي أصدره الأصمعي على هؤلاء الثلاثة هو الذي نعتمده في ميزان الأصمعي النقدي؛ لأننا لا نكاد نعثر على رأي غيره يجمعهم الثلاثة في كتب النقد الأخرى؛ ولأنه صدر عنه مباشرة دون أن يروى أو يذكر عن آخرين، فالأصمعي هنا اعتمدهم بأنهم مولدون، وشعرهم حجة يحتج به، وإن رأى غيره فيما يتعلق بابن الرقيات بأنه ليس فصيحاً ولا ثقة.

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 16.

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 132.

(3) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 26.

(4) القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، ص: 73.

(5) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 237.

(6) (إبراهيم وزملاؤه)، (د.ت)، مادة: ولد.

(7) الحسين، قصي، 2008، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، ص: 95.

(8) (الأصفهاني، ج 1، 1997، ص: 86).

(9) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 130.

(10) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 224.

(11) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 221.

(12) (الأصفهاني، ج 5، 1997، ص: 61).

4.5 ذو الرمة: "حجة؛ لأنه بدوي، ليس يشبه شعر العرب، ثم قال إلا واحدة التي تشبه العرب، وهي التي يقول فيها: (والباب دون أبي غسان مسدود)⁽¹⁾، وهو غيلان بن عقبة من بني صعب، قال للفرزدق: ما لي لا أذكر مع الفحول؟ قال: قصّر بك عن غاياهم بكاؤك في الدمن ووصفك الأبعاد والعطن"⁽²⁾، وكان ذو الرمة "أحسن الناس تشبيهاً، وأجودهم تشبيهاً، وأوصفهم الرجل وهاجرة وفلاة وماء وقراد وحية، فإذا صار إلى المديح والهجاء، خانه الطبع، وذلك الذي أخره عن الفحول، فقالوا في شعره: أبعاد غزلان ونقط عروس"⁽³⁾. وهو من شعراء الطبقة الثانية من الشعراء الإسلاميين، ويقال إن ذا الرمة راوية راعي الإبل، ولم يكن له حظ في الهجاء، وكان مغلباً⁽⁴⁾. وسئل جرير عن شعر ذي الرمة فقال: نقط عروس وأبعاد ظباء⁽⁵⁾. ظباء⁽⁵⁾. وقال أبو عمرو بن العلاء: ختم الشعر بذي الرمة⁽⁶⁾. من ذلك أجد أن الأصمعي حكم على ذي الرمة بأنه حجة، وعلل حجة، وعلل ذلك؛ لأنه بدوي، ثم أضاف بأن شعره لا يشبه شعر العرب إلا في واحدة، وقد تفاوتت آراء النقاد القدماء في ذي الرمة، فوضعه الجمحي في الطبقة الثانية من الشعراء الإسلاميين، وقال عنه أبو عمرو بن العلاء بأن الشعر ختم به، إلى غير ذلك، وكلها لا ترفع من مكانته فوق المكانة التي وضعه فيها الأصمعي.

6. ليس بفصيح ولا حجة:

1.6 القحيف العامري: "ليس بفصيح ولا حجة"⁽⁷⁾، وهو آخر شاعر تحدث عنه الجمحي في طبقاته، وجعله آخر شعراء الطبقة العاشرة من الشعراء الإسلاميين، وسماه القحيف بن سليمة العقيلي⁽⁸⁾، وسماه محقق الموشح بالقحيف بن خمير بن سلم⁽⁹⁾ وبذلك يكون مقياس الأصمعي النقدي لقحيف العامري بأنه ليس بفصيح ولا حجة، هو المقياس النقدي الوحيد في جلّ كتب النقد، وإن حاول الجمحي أن يعلي من مكانته.

2.6 الكميت بن زيد: "ليس بحجة؛ لأنه مولد"⁽¹⁰⁾ هو الكميت بن زيد الأسدي، قال خلف الأحمر: رأيت الكميت في مسجد الكوفة يعلم الصبيان، وكان شديد التكلف للشعر، كثير السرقة⁽¹¹⁾، وكان ذو الرمة أحسن حالاً عند الأصمعي من الكميت، وقال المفضل: لا يعتد بالكميت في الشعر⁽¹²⁾، وهذا العرض يبقي الكميت في إطار حكم الأصمعي النقدي، ولا يرفع مكانته أو يعليها، ولعل ما ذكره الأصفهاني يرفع من مكانته، حيث قال عنه بأنه شاعر مقدم عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مضر وألسنتها، وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره⁽¹³⁾، ولعل هذا الرأي جاء به الأصفهاني لكونه متشيعاً مثله.

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحول الشعراء، ص: 20.

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 126.

(3) نفسه، ص: 14.

(4) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 202، 207.

(5) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 205.

(6) القزواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، ص: 78.

(7) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحول الشعراء، ص: 20.

(8) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 242.

(9) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 258.

(10) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحول الشعراء، ص: 20.

(11) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 139.

(12) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 228.

(13) (الأصفهاني، ج 17، 1997، ص: 5).

3.6 الطرماح: "وكذلك الطرماح (يشبه الكميت)" ⁽¹⁾ وهو الطرماح بن حكيم من طيء، وكان يرى رأي الخوارج ⁽²⁾، قال قال عن محقق الموشح: شاعر إسلامي فحل، اعتنق مذهب الشراة من الأزارقة، كان هجاء، توفي نحو 125 هـ ⁽³⁾، ولم أعر على أحد من النقاد القدامى سجل حكماً نقدياً للطرماح يستحق أن يذكر، خلاف ما ذكره الأصمعي، بأن جعله يشبه الكميت بأنه ليس بحجة.

7. مُفلق:

1.7 فسح: شاعر جاهلي مفلق ⁽⁴⁾، وهذا هو الشاعر الوحيد في فحولة الأصمعي الذي حكم عليه هذا الحكم، والشاعر المفلق هو الذي يأتي بما يعجب في شعره ⁽⁵⁾ وسبق كلمة مفلق، بأنه شاعر جاهلي، ولعل هذه الإضافة التي سبقت مفلق أعطت لحكم الأصمعي شيئاً من القوة والتأكيد.

8. يتصف بصفات أخرى، ولم يقل إنه فحل: في هذه المجموعة يذكر الأصمعي صفات أخرى للشعراء، دون أن يقول عن أي منهم بأنه فحل، وهؤلاء هم:

1.8 حاتم الطائي: "يعد بكرم، ولم يقل أنه فحل" ⁽⁶⁾، يذكر الأصمعي كرم حاتم الطائي، ولم يذكر شعره، أو يزنه بميزانه النقدي الشعري، واكتفى بذكر كرمه فقط.

2.8 أبو دؤاد: قال صالح، لم يقل إنه فحل ⁽⁷⁾، هو أبو دؤاد الرؤاسي من بني كلاب بن ربيعة بن صعضة، من شعراء الطبقة العاشرة من الشعراء الإسلاميين ⁽⁸⁾، وذكر محقق الموشح بأنه من وصاف الخيل المجيدين ⁽⁹⁾، وادعت إباد لأبي دؤاد بأنه شاعرها، وهو الأول بين القبائل ⁽¹⁰⁾. ولعل ما عثرت عليه من أقوال النقاد القدامى لا يعلي من شأن أبي دؤاد، ويجعله في مرتبة أفضل مما وضعه فيها الأصمعي.

9. أشعر من:

1.9 أوس بن حجر: "أشعر من زهير"، "لم يكن النابغة وأوس وزهير يحسنون صفة الخيل" ⁽¹¹⁾. يقارنه الأصمعي هنا بزهير بن أبي سلمى، ويجعله أفضل من زهير، رغم إنه لم يكن يحسن وصف الخيل كزميليه.

10. اختلف فيه:

1.10 زهير بن أبي سلمى: "فقد اختلف فيه، وقوله: ما يصلح زهير أن يكون أجيراً للناطقة" ⁽¹⁾، وقوله: دعوا لي طفلاً، فإن شعره شعره أشبه بشعر الأولين من زهير"، وقوله: "لم يكن النابغة وأوس وزهير يحسنون صفة الخيل" ⁽²⁾. وهنا أجد الأصمعي يتردد في

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 20.

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 140-141.

(3) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 244.

(4) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 17.

(5) (إبراهيم وزملاؤه)، (د.ت)، مادة: فلق.

(6) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 14.

(7) نفسه، ص: 12.

(8) الحمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 242.

(9) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 91.

(10) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج 2، ص: 477.

(11) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 9-10.

إصدار حكم نقدي في شعر زهير، وإن كان يميل إلى أن يجعله في مرتبة شعرية أقل من غيره، رغم إنه من أصحاب المعلقات، ومن شعراء الحوليات.

- ثالثاً: أحكام عامة:

- آراء متفرقة للأصمعي (أحكام عامة): أصدر الأصمعي أحكاماً عامة لمجموعة من الشعراء، وقد جاءت على شكل آراء نقدية متفرقة، خاصة لكل شاعر، بحيث أن كل شاعر كان للأصمعي فيه رأيه النقدي وحكمه الخاص فيه، وذلك كما يلي:
1. **النابعة الجعدي:** أفحم ثلاثين سنة بعدما قال الشعر، ثم نبغ⁽³⁾، وهو عبد الله بن قيس ابن كعب بن ربيعة، وهو جاهلي، وعمر حتى أدرك الأخطل، وتنازعا الشعر فغلبه الأخطل، وما بأصفهان وهو ابن عشرين ومئة⁽⁴⁾، وكان شاعراً قديماً مُفْلِقاً (أي مبدعاً) في الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من النابعة، وجعله الجعدي رأس الطبقة الثالثة من الشعراء الجاهليين. قال يونس: كان الجعدي أوصف الناس لفرس، وكان علوي الرأي⁽⁵⁾. وكان الجعدي مختلف الشعر مُغَلَّباً (أي مغلوباً)⁽⁶⁾، وينسبه الأصمعي إلى قلة التكلف⁽⁷⁾. وقال ابن شرف القيرواني عنه بأنه نقي الكلام، شاعر الجاهلية والإسلام، واستحسن شعره أفصح الناطقين، وكان شاعراً في الافتخار والثناء، قصير الباع عن تناول الهجاء، وكان مغلوباً فيه في الجاهلية، وطريد ليلي الأخيلية⁽⁸⁾. ولعل حديث الأصمعي عن الجعدي يفيد نبوغه بعد قصور في الشعر لثلاثين سنة، والنقاد فيه مختلفون باختلاف النابعة الجعدي في شعره، ذلك بأن منهم من أدنى من منزلته كابن قتيبة والمرزباني، ومنهم من حاول أن يعلي منها كالجمحي وابن شرف القيرواني، وبشكل عام يبقى حكم الأصمعي حكماً عاماً حتى إنه لا يكاد يعد من الأحكام النقدية.
 2. **مُزَرَّد أخو السماخ:** ليس بدون السماخ، ولكنه أفسد شعره بما يهجو الناس⁽⁹⁾. يجعله الأصمعي بمرتبة توازي مرتبة أخيه السماخ، ولكن الذي أفسد شعره، وقلل من قيمته، هو ميل مزرد إلى هجاء الناس، كما يقول الأصمعي.
 3. **العجاج:** ولد في الجاهلية⁽¹⁰⁾، هو أبو عبد الله بن رؤية، من بني مالك بن سعد بن زيد مناة من تميم، وسمي العجاج بقوله: (حتى يعج عندها من عجبها)⁽¹¹⁾، وجعله الجعدي في طبقاته في الطبقة التاسعة من الشعراء الإسلاميين⁽¹²⁾، وأضاف محقق الموشح بأنه هو أول من رفع الرجز وشبهه بالقصيد، وكان لا يهجو، وهو والد رؤية الراجز المشهور، توفي نحو

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 18.

(2) نفسه، ص: 10.

(3) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 19.

(4) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 55-56.

(5) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 73-76.

(6) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 81.

(7) القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، ص: 92.

(8) القيرواني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ص: 26.

(9) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحول الشعراء، ص: 18.

(10) نفسه، ص: 16.

(11) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 141.

(12) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 239.

90هـ⁽¹⁾. لقد اكتفى الأصمعي بقوله "ولد في الجاهلية"، ولم يزد على ذلك مدحاً أو قدحاً، وإن كنت أميل إلى أن الأصمعي الأصمعي ربما قصد منها المدح كونه جاهلياً يحتاج بشعره، وما عثرت عليه عند غيره لا يرفعه كثيراً، وإن جعله الجمحي من أبناء الطبقة التاسعة من الشعراء الإسلاميين.

4. حميد الأرقط: "يشذب الرجز وينقحه وينقيه"⁽²⁾، تحدث الأصمعي عن حميد الأرقط بأن له مقدرة تنقيح الرجز، وتنقيته من الشوائب. وهذا الرأي لا يعطي قيمة شعرية ترفع من مكانة حميد الأرقط، بل هو حديث عادي لا يوجد فيه قيمة نقدية لصالح حميد.

5. أبو النجم: قال ورأيت (أي الأصمعي) يستجيد بعض رجز أبي النجم، ويضعف بعضه؛ لأن له رديئاً كثيراً، وقال مرة: "لا يعجبني شاعراً اسمه الفضل بن قدامة، يعني أبا النجم"⁽³⁾، هو أبو النجم العجلي، أنشد أبو النجم هشام بن عبد الملك (الحمد لله الوهوب المجزل)، وهي أجود أرجوزة للعرب⁽⁴⁾، وجعله الجمحي في الطبقة التاسعة من الشعراء الإسلاميين، وهم رجاز، وكان أبو النجم ربما قصّد فأجاد، ولم يكن كغيره من الرجاز، وهو الذي فاز بجائزة سليمان بن عبد الملك عندما نظم قصيدة يذكر فيها مآثر قومه ولا يكذب، كما طلب سليمان بن عبد الملك⁽⁵⁾، ذكره محقق الموشح بأنه من أكابر الرجاز، ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر، نبغ في العصر الأموي، توفي سنة 130هـ⁽⁶⁾. أجد الأصمعي هنا راح في ذكره لأبي النجم النجم بين محاولة المدح في استجاده لبعض رجزه، وبين الذم لشخص الشاعر، حيث قال عنه: بأنه "لا يعجبني"، ولا أعرف سرّ عدم الإعجاب هذا، هل ينصرف إلى الشخصي الجسمي، أم إلى الشخصي الشعري، فإن قلنا الشخصي الجسمي، فإن ذلك يحملنا إلى أن الأصمعي كثيراً ما تعرض إلى ألوان بشرة الشعراء، فكثيراً ما قال عن بعضهم "وكان أسود" أو "عبد أخرب مشقوق الأذن"⁽⁷⁾، أما الشخصي الشعري فهو معرض حديثه العام عن الشعراء، وتقييمه لهم، ولعل ما ذكره النقاد الآخرون بحق أبي النجم يعلي من شأنه بدرجة أفضل من درجة الأصمعي.

6. نصيب: "أشعر أهل جلدته وكان أسود"⁽⁸⁾، وهو في الطبقة السادسة من الشعراء الإسلاميين عند الجمحي، وقيل مرّ جرير بنصيب وهو ينشد، فقال له: اذهب فأنت أشعر أهل جلدتك⁽⁹⁾، وذكره ابن شرف القيرواني بأنه أمدح القوم⁽¹⁰⁾. إن وصف وصف الأصمعي له بأنه أشعر أهل جلدته، ثم تعقيبه على لونه بقوله (وكان أسود)، ولعله بهذه الإضافة أراد أن يحصر تفوق نصيب بأنه في الشعراء السود فقط وليس في غيرهم. وما ذكره غيره من النقاد لا يغير من واقع الحال شيئاً.

(1) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 252.

(2) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحوالة الشعراء، ص: 18.

(3) نفسه، ص: 16.

(4) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 242.

(5) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 241.

(6) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 250.

(7) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحوالة الشعراء، ص: 1.

(8) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحوالة الشعراء، ص: 18.

(9) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 224-229.

(10) القيرواني، ابن شرف، رسائل الانتقاد في نقد الشعر والشعراء، ص: 30.

7. الأقيشر: "ورأيت طعن فيه، ولم يلتفت إلى شعره، ولا يقال إلا رجل شُرطي، وقال ذاك مولد"⁽¹⁾. هو المغيرة بن الأسود بن وهب من بني أسد بن خزيمه، كان يغضب إذا قيل له أقيشر⁽²⁾، وصفه محقق المرزباني بأنه شاعر هجاء عالي الطبقة، من أهل أهل بادية الكوفة، ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام، لقب بالأقيشر لأنه كان أحمر الوجه أقيشر، صاحب شراب توفي نحو سنة 80هـ⁽³⁾. وأجد الأصمعي قد نال من الأقيشر كثيراً حين طعن في شعره، ولم يلتفت إليه، وقال هو مولد ولعل هذه الصفات التي نخلها الأصمعي للأقيشر تدني من مكانته الشعرية، بل قد لا أجد له مكانة أصلاً عند الكثير من النقاد، أو حتى ذكراً.
8. يزيد بن ضبة: "قال ألف قصيدة فاقتسمها العرب فذهبت"⁽⁴⁾، ما قاله الأصمعي عن يزيد بن ضبة يظهر الكم الشعري الكبير الذي أنتجه الشاعر من القصائد، ولكنه يضيف أن العرب قد اقتسمتها، ولعله يعني انتحلها لنفسها فذهبت لها، ولم يبق منها شيء لقائلها.
9. حميد الراعي، وابن مقبل: "قال أشعر الناس مُغلبوا مضر: فأما الراعي فغلبه جرير، وغلبه خنزر، والجعدي غلبته ليلي الأخيلية، وسوار ابن الحيا، وابن مقبل غلبه النجاشي من بني الحارث بن كعب، وحميد كل من هاجاه غلبه"⁽⁵⁾، وقد أبان الأصمعي في قوله هذا عن المغلبيين من الشعراء، وغالباً ما يكون المغلّب أضعف ممن غلبه، وهكذا ذكر هؤلاء الثلاثة بأنهم مغلوبون مهزومون، وهذا يضعف من مكانتهم الشعرية، مع العلم أن الأصمعي نعتهم بأنهم أشعر الناس، وفي ذلك مدحاً لهم ورفعاً لقيمتهم الشعرية.
10. النمر بن تولب: "وهو جاهلي أدرك الإسلام"⁽⁶⁾، هو من عكل، وكان شاعراً جواداً، ويسمى الكيس لحسن شعره، وهو جاهلي أدرك الإسلام⁽⁷⁾، وجعله ابن سلام في الطبقة الثامنة من الشعراء الجاهليين، وعمر عمرًا طويلاً⁽⁸⁾. أدرك الإسلام فأسلم، كان من ذوي النعمة والوجاهة، ولم يمدح أحداً ولا هجا، سماه أبو عمرو بن العلاء (الكيس) لحسن شعره، توفي نحو 14هـ، هذا ما أورده محقق المرزباني في الهامش⁽⁹⁾. وقال عنه الأصفهاني بأنه شاعر مقل مخضرم، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق⁽¹⁰⁾. وأجد الأصمعي وصفه بأنه جاهلي إسلامي، ولم يزد مدحاً أو ذمّاً، مع أن الآخرين أثبتوا له حسن شعره، ولقبوه بالكيس.
11. أبو ذؤيب: "قال الأصمعي: كان أبو ذؤيب راوية شاعرة، وشذ عليه في أشياء كثيرة، فذكر في قافية، وألح في شعرهم، قال: واستجاد هذه الجيمية لأبي ذؤيب، وقال: إن أبا ذؤيب أجاد في جيميته حدّاً لا يقوم له أحد، قال: هي التي قال فيها: (برك

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحوالة الشعراء، ص: 18.

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 134.

(3) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 158.

(4) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحوالة الشعراء، ص: 18.

(5) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحوالة الشعراء، ص: 17.

(6) نفسه، ص: 20.

(7) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 62.

(8) الحمصي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 90-91.

(9) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ص: 97.

(10) الأصفهاني، ج 22، 1997، ص: 455.

من جذام لبجج⁽¹⁾. والأصمعي هنا يمدح أبا ذؤيب، ويستجيد له جيمته استجادة كبيرة، ولو أضفنا ما قاله الأصمعي هنا إلى ما قال آنفاً⁽²⁾. لم يزد أبا ذؤيب إلا مكانة، وإجادة، وفحولة في شعره.

1.12 التركيز على موضوع معين:

1.1.12 أمية بن أبي الصلت: "ذهب أمية بن أبي الصلت في الشعر بعامة ذكر الآخرة"⁽³⁾، وجعله الجمحي أشعر أهل الطائف، وكان كثير العجائب، يذكر في شعره خلق السموات والأرض، ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء⁽⁴⁾، ويكاد غير الأصمعي يؤكد ما ذهب إليه الأصمعي بصدد أمية بن أبي الصلت، وإن كان رأيه لا يؤدي إلى نتيجة نقدية نقدية حول شعره، وجلّ ذكره كان حول تركيز شعره حول الآخرة.

2.1.12 عنتره: "وذهب عنتره بعامة ذكر الحرب"⁽⁵⁾، ثم انظر إلى عنتره في مجموعة الشعراء الفرسان في كتابه الفحولة (ص:18)، وما دوناه لغيره من النقاد، ولعل الأصمعي اطلع على معظم شعر عنتره، فوجد أغلبه في الحرب، فلذلك قال ما قاله في عنتره، وهو وصف لا يؤثر على مكانته الشعرية، أو يعطي حكماً نقدياً، كما قال من قبل بأنه أشعر الفرسان⁽⁶⁾.

3.1.12 عمر بن أبي ربيعة: "وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر النساء"⁽⁷⁾، وجعله الأصمعي في موقع آخر من فحولته بأنه حجة⁽⁸⁾، وأجد الأصمعي قد وضعه ضمن مجموعة خاصة من الشعراء الذين يركزون في شعرهم على موضوع معين، فحصر شعر عمر بن أبي ربيعة بذكر النساء، وفعلاً هذا ما كان من عمر في شعره، فقد قيل: "لعمري بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال"⁽⁹⁾. وحديث الأصمعي هنا نعت عام لا يصدر حكماً نقدياً.

2.12 المركوب والمحلوب:

1.2.12 عيينة بن مرداس: "أنعت الناس لمركوب من الإبل عيينة بن مرداس"⁽¹⁰⁾، والأصمعي هنا يجعل عيينة بأنه أنعت الناس أو أكثر وصفاً لما يركب من الإبل، وهي صفة خاصة بهذا الشاعر لم يجعلها الأصمعي لغيره.

2.2.12 الراعي: "أنعت الناس لمحلوب في القصيد الراعي"⁽¹¹⁾. والأصمعي هنا يركز في وصفه له بأنه أنعت الناس لمحلوب، وفي القصيد فقط.

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص:20.

(2) (انظر: 10.1.1 المجموعة الأولى في الشعراء الفحول في هذا البحث).

(3) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص:18.

(4) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص:131-132.

(5) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص:18.

(6) انظر: ثانياً 2.1 في هذا البحث.

(7) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص:18.

(8) انظر: 2.6 من هذا البحث.

(9) (الأصفهاني، ج1، 1997، ص:86).

(10) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص:18.

(11) نفسه. وانظر: في مجموعة شعراء ليسوا بفحول 5.4 من هذا البحث.

3.2.12 ابن لجأ التميمي: "وأنتهم مخلوب في الرجز ابن لجأ التميمي، واسمه عمر"⁽¹⁾، ونجد الجمحي جعل هذا الشاعر في الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميين⁽²⁾، وهنا أيضاً قصر الأصمعي نعتة لهذا الشاعر، بأنه أنعت الناس لكل مخلوب ولكن في الرجز فقط.

4.2.12 ابن أحمر: "ابن أحمر لم يهاج أحداً"⁽³⁾، ولعل هذا القول إذا فصلناه عن توصيفه السابق لابن⁽⁴⁾، فهو حديث عام عن ابن الأحمر لا يكون رأياً نقدياً بهذا الشكل المنفصل.

رابعاً: شعر القبائل: (أشعر قبيلة)

1. أي الناس أشعر قبيلة. فقيل: النجل العيون في ظلال الفسيل، يعني الأنصار، ويقال الزرق العيون في أصول العضاة، يعني بني قيس بن ثعلبة، وذكر منهم المرقش، والأعشى، والمسيب بن علس⁽⁵⁾.

2. ليس في الدنيا قبيلة على كثرتها أقل شعراً من بني شيبان، وكلب، وليس لكلب شاعر في الجاهلية قدم، قال: وكلب مثل شيبان أربع مرار⁽⁶⁾.

3. قال الأصمعي: قيل لحسان: من أشعر الناس؟ قال: أشعر رجلاً أم قبيلة؟ قال: بل قبيلة. قال: هذيل، قال الأصمعي: فيهم أربعون شاعراً مفلحاً، وكلهم يعدو على رجله ليس فيهم فارس، قال الأصمعي: أشعرهم رجلاً واحداً: النابغة الذبياني⁽⁷⁾.

ويأتي الأصمعي بمعيار نقدي جديد ضمن ميزانه النقدي، الذي نحن بصددده، وهو ما يختص بشعر القبائل، وهذا يذكرنا بما كانت تفعله قبائل العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأته، وكانوا لا يهنتون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج⁽⁸⁾. أما حكم الأصمعي النقدي في قوله: "أي الناس أشعر قبيلة"، ويحجب هو فيقول: قيل: النجل العيون... ويقال: الزرق العيون... فبدأ الجملة الأولى بقوله: قيل على صيغة الماضي المبني للمجهول، والثانية بـ(يقال) على صيغة المضارع المبني للمجهول، وفي كلا الحالتين يظهر أن القول ليس له، بل لغيره، وفي كليهما يتحدث واصفاً مادحاً، لقبيلة بني قيس بن ثعلبة، بأنهم أصحاب العيون النجل الواسعة، والزرقاء، ثم ذكر منهم ثلاثة شعراء: "المرقش، والأعشى، المسيب"، وهنا أتساءل: ما علاقة جمال عيون الشعراء أو عيون القبيلة بالشعر؟ وما أثر ذلك على قوة الشاعر وجودة شعره من عدمها؟ بعد ذلك يتحدث عن قلة شعر بني شيبان وكلب، رغم كثرة عددهم، ثم يأتي الأصمعي على لسان حسان عندما سئل: من أشعر الناس؟ قال: هذيل، فأكمل الأصمعي: فيهم أربعون شاعراً مفلحاً، وأضاف: كلهم يعدو على رجله ليس فيهم فارس، وهنا أتساءل أيضاً: ما علاقة العدو على الرجلين بالشعر وجودته؟ ويضيف بعدها الأصمعي خاصاً بالذكر النابغة الذبياني بأنه أشعرهم. مما تقدم أجد أن الحكم النقدي الذي أطلقه الأصمعي هو (من أشعر الناس قبيلة؟) والإجابة عليه بتحديد القبيلة، لكن ما أضافه لمتعلقات الجواب، لا يعني الجواب بشيء، من حيث قيمة الحكم النقدي، وصحته، أو تدعيمه بآراء جديدة بالاهتمام.

(1) نفسه .

(2) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص: 216.

(3) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحول الشعراء، ص: 17.

(4) نفسه، ص: 12.

(5) الأصمعي، عبد الملك بن قريظ، كتاب فحول الشعراء، ص: 19.

(6) نفسه .

(7) نفسه .

(8) القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص: 65.

خامساً: آراء متفرقة لغير الأصمعي:

هذه مجموعة آراء أوردتها الأصمعي في كتابه "فحولة الشعراء"، وهي لغير الأصمعي:

1. قال حسان في شعر عمرو بن العاص: ما هو شاعر ولكن عاقل.
2. سئل الأخطل عن شعر كثير، فقال: حجازي يكذب البرد⁽¹⁾.
3. قال الفرزدق للنوار امرأته: كيف شعري من شعر جرير؟ فقالت: شريك في حلوه، وغلبك على مرّه.
4. قال الأصمعي: سمعت أبا سفيان بن العلاء يقول: قلت لرؤبة: كيف رجز أبي النجم عندك؟ فقال كلمته تلك عليها لعنة الله لأنه استجادها: الحمد لله الوهوب المجزل⁽²⁾.
5. أروى الناس للرجز الأصمعي⁽³⁾.
6. قال معاوية بن أبي سفيان: دعوا لي طفيلاً فإن شعره أشبه بشعر الأولين⁽⁴⁾.
7. قال أبو عمرو (ولعله ابن العلاء): عندما سأل رجل: النابغة أشعر أم زهير؟ فقال: ما يصلح زهير أن يكون أجيراً عند النابغة، وكان الأصمعي قال عنه: قد اختلف فيه.

يورد الأصمعي في هذه المجموعة من معياره النقدي الخامس آراء لغيره، وأحكاماً لآخرين، ولكنه يقرها ويعتمدها، فمثلاً يورد لحسان قولاً في شعر عمرو بن العاص: "ما هو شاعر، ولكن عاقل"، فالإضافة التي تلت كلمة ما هو شاعر، وهي كلمة "عاقل" لا تؤثر ولا تدعم حكم حسان في شعر عمرو بن العاص، والأصمعي أقره على ذلك، وكذلك قول الأخطل عن شعر "كثير" فأجاب: حجازي يكذب البرد، ثم ذكر قول النوار للفرزدق عندما سأله عن شعره وشعر جرير، فقالت: شريك في حلوه، وغلبك على مرّه، أي التناوب في القوة والجودة، ثم ذكر ما يروى بأن أروى الناس للرجز الأصمعي، ثم أخيراً أورد قولاً لمعاوية بن أبي سفيان عن طفيل، عندما قال: دعوا لي طفيلاً فإن شعره أشبه بشعر الأولين، وفي هذا الحكم النقدي بأن شعر طفيل يشبه شعر الأولين من حيث الجودة والفحولة والقوة، ثم نسب الأصمعي قولاً لأبي عمرو بن العلاء في زهير بن أبي سلمى بأنه لا يصلح أن يكون أجيراً عند النابغة، وفيه دلالة على عدم جودة شعره قياساً بشعر النابغة.

سادساً: ذكرهم الأصمعي ذكراً فقط:

1. الحطيئة: ذكر بيتاً من الشعر وقال: "وهذا للحطيئة"⁽⁵⁾، وكان الأصمعي يقول: "زهير والحطيئة وأمثالهما من الشعراء عبيد الشعر؛ لأنهم نقحوه، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين، وكان الحطيئة يقول: خير الشعر الحولي المنقح المحكك، وكان زهير يسمى كبير قصائده الحوليات"⁽⁶⁾، وكان الحطيئة هجاء ديني النفس فاسد الدين، متين الشعر شرود القافية، هجا نفسه بقوله: ⁽⁷⁾

أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 19.

(2) نفسه، ص: 20.

(3) نفسه، ص: 14.

(4) نفسه، ص: 10.

(5) الأصمعي، عبد الملك بن قريش، كتاب فحولة الشعراء، ص: 18.

(6) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ص: 8.

(7) الأصفهاني، ج 2، 1997، ص: 435-436.

2. المنتشر: قال الأصمعي "وليس المنتشر منهم"⁽¹⁾، وذلك عندما قال: "ومثله ابن بركة الحمداني ومثله حاجز الثمالي من السزويين وتأبط شرا واسمه ثابت بن جابر والشنفرى الأزدي السزوي وليس المنتشر منهم"⁽²⁾، دون أن يضيف للمنتشر أي إضافة أو تعليق أو حكم نقدي.

سابعاً : النساء الشاعرات:

1. ليلي: "إن ليلي أشعر من الخنساء"⁽³⁾، ولم يبن لنا الأصمعي من هي ليلي؟ هل هي ليلي بنت طريف الخارجية؟ أم ليلي الأخيالية؟ أم غيرهما؟ والأصمعي هنا جعلها أشعر من الخنساء، وإن كنا لا نجد للخنساء ذكراً في فحولته هذه، غير هذه العبارة.

2. الخنساء: عند قوله: "إن ليلي أشعر من الخنساء"⁽⁴⁾ (نفسه)، فالأصمعي لم يتحدث عنها أو حول شعرها، رغم مكانتها الشعرية.

- الخاتمة:

- لقد خلصت في نهاية بحثي إلى مجموعة من النتائج أسجل منها:
- بلغ عدد الشعراء الذين تطرق إليهم الأصمعي في كتابه "فحولة الشعراء" مئة شاعر وشاعرة.
 - تحدث الأصمعي في مقياس الفحولة ضمن ميزانه النقدي عن ثلاثة وخمسين شاعراً، ومن تبقى من الشعراء وضعهم تحت مقاييس أخرى غير الفحولة.
 - جاء ميزان الأصمعي النقدي في كتابه الفحولة وفق المقاييس التالية:
أولاً: مقاييس لها علاقة بالفحول:
1. فحل: وصل عدد من أطلق عليهم بأنهم فحول أربعة عشر شاعراً.
 2. فحل: مع إضافة أو تعليق، وصل عددهم سبعة شعراء.
 3. ليس بفحل: وضم أربعة شعراء.
 4. ليس بفحل مع إضافة أو تعليق: وضم ستة عشر شاعراً.
 5. 1. المعيار الشرطي الأول لتحقيق الفحولة: وضم ستة شعراء.
 - 2.5 المعيار الشرطي الثاني لتحقيق الفحولة: وضم ثلاثة شعراء.
 6. قد يكون من الفحول: وضم ثلاثة شعراء.
- وقد كانت هذه المجموعة تمثل 54% من شعراء الكتاب، وبهم أطلق الأصمعي على كتابه فحولة الشعراء، وما تبقى من الشعراء الذين تطرق إليهم الأصمعي، فقد تحدث عنهم ضمن مقاييس نقدية تختلف عن مقياس الفحولة.

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 15.

(2) نفسه .

(3) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب فحولة الشعراء، ص: 19.

(4) نفسه .

ثانياً: مقاييس ليس لها علاقة بالفحول:

1. الشعر والفروسية: وتحدث هنا عن ثمانية شعراء.
2. الجودة: تحدث عن شاعر واحد.
3. الحسن والتجوير: تحدث عن شاعر واحد.
4. ثبت وفصيح: ضم ستة شعراء.
5. حجة: ضم ستة شعراء.
6. ليس بفصيح ولا حجة: تحدث عن ثلاثة شعراء.
7. مُفلق: تحدث عن شاعر واحد.
8. يتصف بصفات أخرى: تحدث عن شاعرين.
9. أشعر من: شاعر واحد.

ثالثاً: أحكام عامة: تحدث فيه عن ثمانية عشر شاعراً.

رابعاً: شعر القبائل (أشعر قبيلة): وتحدث فيه الأصمعي عن أشعر القبائل، وذكر منها: الأنصار، وقيس بن ثعلبة، وهذيل. خامساً: آراء متفرقة لغير الأصمعي: وقد وردت في كتاب الفحولة آراء لغير الأصمعي، مثل: حسان في شعر عمرو بن العاص، والأخطل في شعر كثير، ورؤبة في رجز أبي النجم.

سادساً: ذكرهم الأصمعي ذكراً فقط: ذكر شاعرين فقط.

سابعاً: النساء الشاعرات: تطرق الأصمعي لشاعرتين فقط، هما: ليلى والخنساء.

وقد بلغت نسبة الشعراء الذين لم تشملهم صفة الفحولة أو عدمها، بل تحدث عنهم الأصمعي ضمن مقاييس نقدية أخرى نحو 46% من المجموع الكلي.

- ربما اختار الأصمعي كلمة "الفحولة" أو "فحل" أو "الفحول" متأثراً بالبيئة البدوية التي عاش فيها فترة من الزمن، فالأصمعي لا يريد اللين للشاعر، بل القوة الشعرية، التي يجابه من خلالها كل من يعترضه، وكأني بالأصمعي أراد الرجولة الشعرية مرادفاً للفحولة الشعرية، والتي تصل إلى جودة السبك وحسن التجوير، وقوة اللفظ وملاءمته للمعنى، ورواية الأشعار والأخبار، ومعرفة العروض والنحو والأنساب، إنه يريد لصفة الفحولة أن تبقى صفة عزيزة، تعني التفرد الذي يتطلب غلبة صفة الشعر على الصفات الأخرى، وهذه الصفة قد تستدعي كمياً معيناً من القصائد⁽¹⁾.
- لعل مقياس الفحولة النقدي الذي اعتمده الأصمعي، قد اعتمده غيره من النقاد من بعده، فابن سلام جعله الأساس الأول في التمييز بين الشعراء، "وقد وسع من حدود فكرة الأصمعي وأعاد صياغتها"⁽²⁾. وبذلك أستطيع أن أجرو لأقول: بأن كتاب الأصمعي هذا هو أول كتاب نقدي مؤلف، وإن كان تناوله لموضوع النقد بطريقة أولية، وطريقة عرض أحكامه ومقاييسه هي طريقة بدائية، تعرض الأحكام بطريقة ذوقية شخصية غير معقدة، وأن ما جاء بعده من المؤلفات قد ارتكزت عليه، وأخذت تطوره كما حصل مع ابن سلام وابن قتيبة والمرزباني، وابن رشيق وغيرهم، وبذلك

(1) أنظر: عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 38-41.

(2) نفسه، ص: 68.